جامعة الشهيد حمه لخضر–الوادي
كلية العلوم الإسلامية
قسم أصول الدين

ملامح الرؤية الكونية التوحيدية عند محمد المبارك

مذكرة تخرّج تدخل ضمن متطلبات الحصول على شهادة الماستر
في العلوم الإسلامية –تخصص: عقيدة إسلامية

إعداد:
سرياني مروه

المشرف:
د. زهير بن كتفي

لجنة المناقشة

الاسم واللقب	الرتبة	الجامعة	الصفة
د. معمر قول	أستاذ تعليم عالي	جامعة الشهيد حمه لخضر–الوادي	رئيسا
د. زهير بن كتفي	أستاذ محاضر أ	جامعة الشهيد حمه لخضر–الوادي	مشرفا ومقررا
د.عامر باي	أستاذ تعليم عالي	جامعة الشهيد حمه لخضر–الوادي	مناقشا

السنة الجامعية: 1445–1446هـ/2024–2025م

بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء

﴿وَءَاخِرُ دَعوَىٰهُم أَنِ ٱلحَمدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلعَٰلَمِينَ﴾[يونس:10].

الحمد لله حبًا وشكرًا على البدء والختام،

لم تكن الرحلة قصيرة ولا طريقًا محفوفًا بالتسهيلات لكنني فعلتها.

فالحمد لله الذي يسّر البدايات وبلّغني النهايات بفضله وكرمه.

أهدي ثمرة جهدي المتواضع:

إلى نفسي الطموحة، ثمّ إلى كل من سعى معي لإتمام هذه المسيرة دمتم لي سندا وذخرًا.

إلى تلك الإنسانة العظيمة قدوتي الأولى ونبراسي الذي ينير دربي، إلى تلك التي ظلّت دعواتها تضم اسمي دائما، **أمي الحبيبة**.

"بن سلمان فاطمة "

إلى من علمني أنّ القوة في الصبر وأنّ العزة في التواضع، **أبي الغالي**.

" سرياني نجيب"

إلى من أشدّ بهم عضدي، فكانوا لي خير معين، **إخوتي الأعزاء**.

سرياني مروه

شكر وتقدير

أحمد الله الخالق البارئ الواحد الأحد على توفيقه بأن أتممت هذا العمل، فاللّهم لك الحمد والشكر حتى ترضى ولك الحمد إذا رضيت ولك الحمد بعد الرضى.

عملا بقول النبيﷺ: (لايشكر الله من لايشكر الناس)

أتقدم بجزيل الشكر والعرفان إلى الدكتور زهير بن كتفي مشرفي على هذه المذكرة، وعلى إعانته ونصحه وتوجيهه.

كما أتقدم بجزيل الشكر إلى كلية العلوم الإسلامية بجامعة الوادي التي أتاحت لي فرصة مزاولة دراستي في الماستر.

والشكر موصول إلى ورثة الأستاذ محمد المبارك، وأخصّ بالذكر ابنه الدكتور صالح المبارك، وشقيقه الشيخ مازن المبارك، وابنه زاهر المبارك، على تعونهم وتجاوبهم مع مراسلاتي وإفادتي بارك الله فيهم ورزقهم سعادة الدارين.

كذلك أشكر كل أعضاء لجنة المناقشة الموقرين وأساتذتنا بقسم (أصول الدين) على المجهودات المبذولة لإيصالنا على مانحن عليه.

شكرا...

الملخص

تهدف هذه الدراسة الموسومة بـ: **ملامح الرؤية الكونية التوحيدية عند محمد المبارك** إلى إبراز الرؤية الكونية التوحيدية في فكره، وذلك من خلال استقراء نظرته إلى الوجود، وموقفه من القيم والأخلاق، ونقده للتصورات الغربية ذات الطابع المادي. وقد عرضت ذلك من خلال محاور أساسية أبرزها: التوحيد كأساس للرؤية الكونية، مكانة الإنسان في الكون، المنظومة الأخلاقية، ورؤيته للتاريخ والاجتماع الإسلامي. وتُظهر نتائج هذه الدراسة أن فكر محمد المبارك يقدّم رؤية كونية شاملة ومتكاملة تنطلق من التوحيد كأساس لفهم الكون والإنسان والحياة، وتسعى إلى بناء مجتمع يؤمن بالقيم، ويوازن بين الثوابت الشرعية ومتطلبات الواقع المعاصر.

الكلمات المفتاحية: محمد المبارك –الرؤية الكونية –التوحيدية

Abstract:

This study، tagged "Features of the Monotheistic Worldview" according to Dr. Mohammad Al-Mubarak، aims to highlight the monotheistic worldview in his thought، and that by examining his view on existence، his position on values and morals، and his criticism of materialistic Western concepts. I presented these ideas through the main axes، most notably:

- monotheism as the foundation of the worldview.
- the status of the human being in the universe
- the ethical system
- and Mohammad Al-Mubarak's view of Islamic history and society.

The results of this study reveal that Mohammed Al-Mubarak's thought offers a comprehensive and integrated global vision that starts from monotheism as a basis for understanding the universe، humanity، and life، and also seeks to build a society that believes in values، and makes balance between religious principles and the requirements of contemporary reality

Keywords: **Mohammad Al-Mubarak – Monotheistic Worldview**

مقدمة

مقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن ويضلل فلا هادى له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم وعلى أله وصحبه وسلم تسليما كثيرا أما بعد:

1-التعريف بالموضوع

كرم الله تعالى الإنسان وخصه بالعقل فجعله مميزا عن سائر الكائنات ومهيأ لتكليف والاستخلاف في الأرض وانطلاقا من هذا التمييز جاءت الرؤية الكونية التوحيدية في التصور الإسلامي لترسخ العلاقة بين الله والإنسان والكون وقد سعى الأستاذ محمد المبارك إلى إبراز هذه الرؤية من خلال مؤلفاته التي اتسمت بروح الإسلام وتعاليمه من خلال الإيمان بوحدانية الله وتحقيق مقاصده وسنتناول في هذا البحث أبرز ملامح هذه الرؤية مع لتركيز على أهم مفاهيمها ومقوماتها.

2-أهمية الموضوع:

وتكمن أهمية الموضوع في النقاط الأتية:

-تعزيز دور العقيدة في بناء الإنسان والمجتمع وتنمية القيم والأخلاق.

- إبراز البعد التوحيدي في الرؤية الكونية التوحيدية من خلال تحليل أفكار محمد المبارك، حيث يسهم البحث في إظهار أن التوحيد ليس مجرد مبدأ عقدي بل هو الأساس لفهم الوجود.

-تفعيل البعد التربوي للعقيدة بتوجيه الإنسان لعبادة الله وتحمل مسؤولية الاستخلاف في الأرض

3-إشكالية البحث:

ويسعي هذا البحث إلى الإجابة عن الإشكالية التالية: **ماهي ملامح الرؤية الكونية التوحيدية في فكر محمد المبارك؟**

ويندرج تحت هذه الإشكالية المركزية أسئلة فرعية وهي:

-كيف ينظر محمد المبارك إلى علاقة الإنسان بالكون في إطار رؤيته التوحيدية؟

-ما أهمية القيم والأخلاق في فكر محمد المبارك وكيف تتجلى علاقتها برؤيته التوحيدية؟

-كيف يتناول محمد المبارك قضايا التاريخ والمجتمع الإسلامي من منظور توحيدي؟

4-أهداف الموضوع:

وتسعى هذه الدراسة إلى تحقيق جملة من الأهداف أهمها:

-الوقوف على أهم ملامح الرؤية الكونية التوحيدية عند محمد المبارك من خلال إبراز معاني توحيد في نظرته إلى الله تعالى: والكون والإنسان.

-إبراز جهود الشيخ محمد المبارك من خلال الوقوف على أبرز القيم والمبادئ التي تقوم هذه الرؤية.

5-الدراسات السابقة:

لقد حظيت مؤلفات الدكتور محمد المبارك باهتمامات كبيرة ونالت مكانة معتبره في الوسط الأكاديمي لدى العديد من الباحثين خاصة في الجوانب المتعلقة منها بالجانب العقدي أو بالجانب الفكري والثقافي والدعوي من حياته، ومن أهم الدراسات التي استفدت منها في هذا الجانب:

-رسالة دكتوراه بعنوان: "الدرس العقدي عند محمد المبارك "، للباحثة فتيحة دوار، جامعة الجزائر، كلية العلوم الإسلامية، قسم العائد والأديان، 1431هـ/2010م.

-رسالة ماجستير بعنوان الشيخ محمد المبارك وجهوده الفكرية والثقافية، للباحثة غزيل بنت شاهر عوده الدعدي، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، كلية الدعوة وأصول الدين، قسم الدعوة والثقافة الإسلامية، سنة 1430هـ/1431هـ.

-رسالة ماجستير بعنوان: "محمد المبارك الجزائري وجهوده في الفكر الإسلامي" للباحث الهاشمي قروف، جامعة الحاج لخضر، باتنة، كلية العلوم الاجتماعية والعلوم الإسلامية، سنة 2009/2008.

فالدراسة الأولى تطرقت الباحثة فيها إلى جهود الأستاذ محمد المبارك في خدمة العقيدة الإسلامية. أما الدراسة الثانية فتناول الباحث فيها جهود الشيخ محمد المبارك في مجال الفكر والدعوة؛ فبيّن أهم جهوده اتجاه قضايا الأمة والمجتمع المسلم في مواجهة الغزو الفكري والدعوة إلى العقيدة الإسلامية وتوضيحها. وركّزت الدراسة الثالثة بشكل أساسي على تحليل الفكر الإسلامي المعاصر عند محمد المبارك وجهوده في خدمته.

لكن ومن خلال بحثي في موضوعي هذا، لم أجد دراسات مستقلة فيه، وإن لم تُعدم الإشارة إليه في بعض الكتب والمقالات بصورة جزئية مقتضبة كما هو الحال في المقالات التالية:

-بن داشة عز الدين وخالد محجوب: "الرؤية الكونية التوحيدية لمحمد المبارك"، مجلة المعيار، العدد1، سنة 20/12/2024.

-فتيحة دوار: "مؤلفات المفكر الجزائري محمد المبارك، دراسة تحليلية نقدية"، كلية العلوم الإسلامية جامعة الجزائر 1بن يوسف بن خدة، مجلة رسالة المجسد، سنة النشر .2021

6-أسباب اختيار الموضوع:

وتتجلى الأسباب التي دعتني إلى اختيار هذا الموضوع في الأسباب التالية:

أ- الأسباب الموضوعية:

-ما ينطوي عليه هذا الموضوع من قيمة علمية بارزة في الدفاع عن ثوابت العقيدة الإسلامية.

-الارتباط الوثيق بين العقيدة والرؤية الكونية ما يمنح هذا الموضوع بعدا عقديًا وفلسفيًا يعمق الفهم الإسلامي للوجود ويميّزه عن غيره من فهوم الرؤى الكونية الأخرى.

-ترسيخ التصور الإسلامي الصحيح للوجود ومواجهة الانحرافات الفكرية المعاصرة.

ب-الأسباب الذاتية:

-الرغبة في التعرف على شخصية الأستاذ محمد المبارك ومساره العلمي وفهم أسس تفكيره العقدي ومنهجه في تناول القضايا الفكرية ضمن إطار رؤيته التوحيدية.

- الرغبة في إبراز جهود الأستاذ محمد المبارك في معالجة قضايا العقيدة الإسلامية من خلال منهجه التوحيدي.

7- منهج البحث:

أما منهج البحث ونظرا لطبيعة البحث وما يتطلبه من استقراء ووصف، فقد اقتضى الأمر الاعتماد على المنهجين الآتيين:

أ-المنهج الاستقرائي: ويتضح ذلك من خلال محاولة تتبعي لنصوص الأستاذ محمد المبارك والوقوف على أفكاره الجزئية والكلية التي طرحها في كتبه ومقالاته ومؤلفاته بما يخدم موضوعي بصورة مباشرة أو غير مباشرة.

ب-المنهج الوصفي: ويتضح من خلال عرض المفاهيم والمصطلحات المتعلقة بموضوع الدراسة وتتبع الجوانب المتعلقة بشخصية محمد المبارك ووصف المضامين الأساسية للموضوع من خلال نصوصه

أساسا إلى جانب شرح وتحليل أفكاره وتوضيح مفاهيمه المرتبطة برؤيته الكونية التوحيدية واستنتاج العناصر الأساسية التي تسهم في تعزيز مضمون البحث.

8- صعوبات البحث:

ومن أبرز الصعوبات التي اعترضتني أثناء إنجاز هذه المذكرة عدم وجود كتاب مستقل للدكتور محمد المبارك يتناول بشكل مباشر رؤيته الكونية التوحيدية الأمر الذي تطلب منى الرجوع إلى عدد من مؤلفاته ومقالاته المختلفة والقيام بجهد استقرائي وتحليلي لجمع ملامح هذه الرؤية واستخلاص ما يخدم موضوع هذه الدراسة.

وتجسيدا لتقديم هذا البحث على أكمل وجه، لم أدخر أي جهدٍ حتى أنني تواصلت مع أحد أبناء الأستاذ محمد المبارك وهو الدكتور صالح المبارك وكذلك مع شقيق الشيخ محمد المبارك الدكتور مازن المبارك عن طريق ابنه زاهر المبارك وذلك في سبيل الحصول على معلومات تخدم هذه الدراسة.

9- خطة البحث:

ولعرض هذا البحث بطريقة منهجية واضحة اتبعت الخطة التالية حيث قسمت البحث إلى مقدمة ومدخل تمهيدي وأربعة مباحث وخاتمة:

فالمقدمة: تضمنت عناصرها الأساسية من التعريف بالموضوع وأهميته وإشكاليته والأهداف وغيرها.

أما المبحث التمهيدي فقد خصصته إلى تحديد المفاهيم الاصطلاحية للموضوع والتعريف بشخصية الأستاذ المبارك.

والمبحث الأول جاء بعنوان:" **التوحيد ودوره المحوري في الرؤية الكونية عند محمد المبارك** "ينقسم إلى مطلبين المطلب الأول مفهوم التوحيد عند محمد المبارك والمطلب الثاني دور التوحيد في تشكيل الرؤية الكونية عند محمد المبارك.

المبحث الثاني بعنوان: **"الإنسان والكون في رؤية محمد المبارك"** وقد قسمته إلى أربعة مطالب المطلب الأول يتضمن الإنسان ومكانته فالكون عند محمد المبارك والمطلب الثاني علاقة الإنسان بالله تعالى: والمطلب الثالث نظرة محمد المبارك إلى الكون كأية من آيات الله والمطلب الرابع التوازن بين تحقيق العبودية لله تعالى وإعمار الأرض.

المبحث الثالث بعنوان:"**القيم والأخلاق في الرؤية الكونية التوحيدية لمحمد المبارك**" قسمته مطلبين المطلب الأول نقد محمد المبارك للفكر المنحرف وتداعياته على القيم الأخلاقية والمطلب الثاني القيم الأخلاقية في الإسلام.

أما المبحث الرابع والأخير بعنوان "**التاريخ والاجتماع الإسلامي في الرؤية الكونية التوحيدية لمحمد المبارك** "تناولت فيه نقطتين أساسيتين وخصصت لكل منهما مطلب مستقل لمطلب الأول التاريخ في الرؤية الكونية التوحيدية لمحمد المبارك والمطلب الثاني الاجتماع الإسلامي في الرؤية الكونية التوحيدية لمحمد المبارك.

المبحث التمهيدي: مدخل مفاهيمي

المطلب الأول: مفهوم الرؤية الكونية التوحيدية

الفرع الأول: مفهوم الرؤية في اللغة والاصطلاح

الفرع الثاني: مفهوم الكونية في اللغة والاصطلاح

الفرع الثالث: مفهوم التوحيدية في اللغة والاصطلاح

الفرع الرابع: المفهوم العام للرؤية الكونية التوحيدية

المطلب الثاني: الشيخ محمد المبارك ترجمة موجزة

الفرع الأول: مولد الشيخ محمد المبارك ونشأته

الفرع الثاني: شيوخ الشيخ محمد المبارك وتلاميذه

الفرع الثالث: أثار الشيخ محمد المبارك العلمية و مؤلفاته

الفرع الرابع: وفاة الشيخ محمد المبارك وأقوال العلماء فيه

في هذا المبحث لابد من الوقوف عند بعض المفاهيم الأساسية التي تشكل الإطار العام لهذه الدراسة كتعريف الرؤية والكونية والتوحيدية والمفهوم العام للرؤية الكونية التوحيدية والتعريف أيضا بشخصية محمد المبارك كونه أنموذج الدراسة وأحد أبرز المفكرين الذين أسهموا في بلورة الرؤية الكونية التوحيدية في الإسلام.

المطلب الأول: مفهوم الرؤية الكونية التوحيدية:

الفرع الأول: مفهوم الرؤية:

أ-الرؤية في اللغة:

الرؤية مشتق من المصدر الثلاثي "رأى".

ويقول ابن منظور: "الرؤية بالعين تتعدى إلى مفعول واحد وبمعنى العلم تتعدى إلى مفعولين يقال رأى زيدا عالما ورأى رأيا ورؤية وراءة مثل راعة"[1].

كما أن الرؤية: "هي النظر بالعين والقلب معا"[2].

فالرؤية على ذلك تحصل بالعين كما تكون أيضا بالعين والقلب مع بعضهما البعض.

ب-الرؤية في الاصطلاح:

من الواضح أن المدلول الاصطلاحي لـ الرؤية يختلف باختلاف متعلقها تارة، وموطن بحثها تارة أخرى، ولما كان محل الدراسة هي الرؤية في البعد الفكري والعملي بالنسبة للإنسان كما سيتضح فإن المراد بها: "إدراك الإنسان الأشياء على ماهي عليه في نظر المدرك" وفي قولنا "نظر المدرك" لعدم اشتراط مطابقة الإدراك للواقع في صدق مفهوم الرؤية.[3]

كما أن الرؤية تعني وضوح الطريق والمنهج للوصول إلى المقصد والهدف.

1- ابن منظور، لسان العرب تحقيق عبد الله علي الكبير وآخرون، (د، ط)، القاهرة، دار المعارف، (د، ت)، ج14، ص1537.

2- المصدر نفسه، ج14، ص1537.

3-علي العبود، الرؤية الكونية الإلهية دراسة في الدوافع والمناهج الفلسفية كلامية عرفانية، ط2، نور للدراسات، هـ1433-2012م، ص13.

الفرع الثاني: مفهوم الكونية:

أ-الكونية في اللغة:

الكونية من الكون وهو "مصدر كان التامة، يقال: كان يكون كونا، أي: وجد واستقر"[1]. والكون: عرفه الجرجاني بأنه: "اسم لما حدث دفعة كانقلاب الماء هواء، فان الصورة الهوائية كانت ماء بالقوة فخرجت منها إلى الفعل دفعة فاذا كان على التدريج فهو الحركة وقيل: الكون حصول الصورة في المادة بعد أن لم تكن حاصلة فيها وعند أهل التحقيق: الكون عبارة عن وجود العالم من حيث هو عالم لا من حيث أنه حق، وكان مرادفا للوجود المطلق العام عند النظر وهو بمعنى المكون عندهم"[2].

ب-الكونية في الاصطلاح:

"يظهر من موارد استعمال مفردة (الكونية) أنها عبارة عن النظرة الفكرية التي يحملها الإنسان حول الوجود وتكون دخيلة في تكوين رؤيته الاعتقادية.

وفي ضوء ذلك: ينبغي عدم الخلط بين الكوني والكونية، وإن اشتركا في النسبة إلى الكون، فإن الأول يهتم بالبحث عن القوانين العامة للظواهر الكونية على الصعيد النشأة، وطبيعة العلاقة بينهما، وهو ما يعرف بعلم الكون، بينما الثاني يرمز إلى بعد ديني يتجلى في عقيدة وفكر الإنسان حول مبدأ الوجود" [3].

كما أنه مصطلح الكونية مرادف " للوجود المطلق عند أهل النظر ويطلق على وجود العالم من حيث هو عالم لا من حيث أنه الحق أو على العالم من جهة ما هو نظام محكم والكون أيضا هو العلم الذي يبحث في القوانين العامة من جهة أصله وتكوينه سواء أكان ذلك من الجهة التجريبية أم من الجهة الفلسفية "[4].

1- المرجع السابق، ص 13.

2- علي بن محمد السيد شريف الجرجاني، معجم التعريفات، تحقيق: محمد الصديق المنشاوي، (د ط)، دار الفضيلة للنشر والتوزيع، (د، ت)، ص158.

3- على العبود، الرؤية الكونية الإلهية، ص 14.

4- جميل صليبا، المعجم الفلسفي، (د، ط)، بيروت، د ار الكتاب اللبناني، 1982، ج 2، ص247.

الفرع الثالث: مفهوم التوحيدية

أ-التوحيدية لغة:

جاء في لسان العرب لابن منظور أن التوحيد هو: "الايمان بالله وحده لا شريك له والله الواحد ذو الوحدانية ومن صفاته الواحد الأحد، قال ابن منصور وغيره الفرق بينهما ما يذكر معه من العدد نقول ما جاءني أحد والواحد إثم بني لمفتح العدد، نقول جاءني واحد من الناس، ولا نقول جاءني أحد قالو أحد منفرد بالذات في عدم المثل والنظير والأحد منفرد بالمعني"[1].

وأيضا جاء في القاموس المحيط التوحيد بمعنى: "أحد لا يوصف به إلا الله سبحانه وتعالى: لخلوص هذا الاسم الشرف له تعالى: "[2].

وعليه فالتوحيد هو الانفراد في الذات والمعنى والإيمان بأن الله واحد لا شريك له.

ب-التوحيدية اصطلاحا:

والتوحيد في الاصطلاح هو: "إفراد المعبود بالعبادة مع اعتقاد وحدته والتصديق بها ذاتا وصفات وأفعالا "، وقيل معناه فالشرع إثبات ذات غير مشبهة للذوات ولا معطلة عن الصفات[3] لقوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ﴾ [الأنبياء: 25].

والتوحيد في اصطلاح أهل الحقيقة: "تجريد الذات الإلهية عن كل ما يتصور في الأفهام ويتخيل في الأذهان"[4]، لقوله تبارك وتعالى: ﴿ فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا ﴾ [الكهف: 110].

1-ابن منظور، لسان العرب، ج1ص 158

2-الفيروز أبادي، القاموس المحيط، ط8، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1426هـ-2005م، ص264.

3-مصطفي الخن، مبادئ العقيدة الإسلامية، ط9، دمشق، سنة 1416-1417هـ/1996-1667م، ص19.

4- على بن محمد السيد شريف الجرجاني، معجم التعريفات، ص63.

الفرع الرابع: المفهوم العام للرؤية الكونية التوحيدية:

"وهذه لرؤية التوحيدية تعني إدراك أن الكون قد أُبدِع بإرادة حكيمة واحدة، وأن نظام الوجود مشيّد على أساس الخير والجود والرحمة، وإيصال الموجودات إلى كمالاتها اللائقة بها، وتعني أيضًا أن للكون قطبًا واحدًا ومحورًا واحدًا، وتعني أن ماهية الكون هي منه (إنّا لله) وأنها إليه تتجه (وإنّا إليه راجعون)."[1].

"والرؤية الكونية التوحيدية هي منظور شامل للوجود يستند على مبدأ التوحيد، أي الإيمان بوحدانية الله ويؤثر على فهم الإنسان للحياة والكون والغاية من الوجود حيث أما تمثل " ثمرة التفاعل الأمة مع عقيدتها في إطار الروابط الاجتماعية والكونية محددة-الرؤية – الإطار النظري والمنهجي والقيمي لإقامة الأنموذج الحضاري المتميز في الكون والقائم على دعامتين هما الدعامة الفكرية الروحية، والدعامة التسخيرية التعميرية، مما يعد مدخلاً لتبوّء مرتبة التمكين والشهود الحضاري."[2].

"وهذه الرؤية التوحيدية مسلحة بقوة المنطق والعلم والاستدلال، وفي كل ذرة من ذرات الكون توجد دلائل على وجود الله الحكيم العليم، وفي كل ورقة من شجرة يوجد كتاب من معرفة الله، وتعطي هذه الرؤية للحياة معنى وهدفًا وروحًا لأنها تضع الإنسان في طريق الكمال، فهو دائمًا يتقدم ولا يقف أبدًا عند أي حد معين.

فالكون مملوء بالآيات الدالة على وحدانية الله وصدق رسوله صلى الله عليه وسلم. قال الله تعالى: ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلْءَافَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿53﴾ أَلَآ إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآءِ رَبِّهِمْ أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ ﴿54﴾ ﴾ [فصلت: 53-54].

1-مرتضى المطهري، الرؤية الكونية التوحيدية، ط2، منظمة الإعلام الإسلامي، تعاونية العلاقات الدولية في منظمة الاعلام الإسلامي الجمهورية الإسلامية طهران، إيران، 1409هـ-1989م، ص 20.

2- عمران بود قزام، الرؤية التوحيدية الحضارية، أرضيتها الفكرية وعناصرها المنهجية، مجلة البحوث العلمية والدراسات الإسلامية، العدد7، 1435هـ-2014م، ص260

المطلب الثاني: الشيخ محمد المبارك: ترجمة موجزة

شهدت الجزائر إبان الاستعمار الفرنسي موجات هجرة واسعة نحو المشرق العربي –وخصوصا الشام –حيث كانت ولاية عثمانية كالجزائر وكانت بلاد الشام تستقبلهم برحابة صدر لكونهم إخوة في الدين والدم وعائلة المبارك مثل العديد من العائلات الجزائرية التي اختارت الشام ملاذا أمنا بعيدا عن القمع والمآسي هذه العائلة لم تكن مجرد مهاجرة بل كانت حقل وصل بين حضارتين تحمل إرث الجزائر في قلبها وتساهم في بناء الشام ثقافيا واجتماعيا وفي كل زاوية من شوارع الشام كانت هناك أثر لعائلة المبارك التي ينحدر منها الأستاذ محمد المبارك والذي سنتناوله في بحثنا هذا بعنوان ملامح الرؤية الكونية التوحيدية من خلال مؤلفاته وأعماله وفي ضل هذا السياق يقول أبو القاسم سعد الله في كتابه "تاريخ الجزائر الثقافي": "ومن العائلات المهاجرة عائلة المبارك، هاجرت منذ بداية الاحتلال الأربعينيات وقد تميزت العائلة في بلاد الشام بإتقان اللغة العربية والتوسع في الأدب حتي أن هذه الصنعة قد توارثها أجيالها"[1].

الفرع الأول: مولد الشيخ محمد المبارك ونشأته:

هو محمد بن المبارك الجزائري، الدمشقي، الحسني، أديب، ناثر، ناظم، لغوي، صوفي أصله من الجزائر [2]ومنذ صغره إخطار له أبوه عبد القادر كنية فدعاه أبا هاشم. يقول عن نفسه: "اسمي الذي سماني به والدي رحمه الله محمد ولقب أسرتنا منذ أكثر من قرن على الأقل والمبارك وقد كناني بأبي هاشم، وكان يرى ذلك عادة عربية مستحسنه لما فيها من إشعار بالرجولة"[3]، ويعتبر محمد المبارك جزائري باعتبار أصوله جزائرية وإن لم يولد بالجزائر ويترعرع في ربوعها.

"إذ تعود أصول أسرته إلى دلس بالجزائر وتنتسب إلى أشراف المغرب فيتصل نسبها في أعلاه إلى الحسن بن علي – رضي الله عنهما –ونجد في ذلك ترجمة جده محمد المبارك وترجمة شقيق جده محمد الطيب المبارك فهما ابنا محمد المبارك بن محمد الدلسي القيرواني بن محمد الصالح بن عبد الله بن أحمد

1- سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي، ط1، لبنان، دار الغرب الإسلامي، 1899، ج8، ص147

2- عمر رضا كحال، معجم المؤلفين، ط1، سوريا، مطبعة الترقي، 1380هـ-1960م، ج11، ص263

3- محمد المجذوب، علماء ومفكرون عرفتهم، ط4، دار الشواف للنشر والتوزيع، سنة 1992، ج1، ص 229

بن محمد الحاج بن علي بن قائد بن يعلي بن سلامة بن إبراهيم بن عبد الحكيم بن عيسي بن موسي بن عبد السلام بن محمد بن جعفر بن عبد الجبار بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن إدريس الأكبر بن عبد الله الكامل بن الحسن المثني بن الحسن السبط بن سيدتنا فاطمة الزهراء وسيدنا علي"[1]

"ولد بدمشق عام 1912م. في دار الملاصقة للمدرسة العادلية التي هي اليوم مقر للمجمع العلمي العربي وقد أصبحت هذه الدار نفسها ملحقة بالمجمع وهي في حي قريب من الجامع الأموي، ثم سكنا منزلا أخر أقرب إليه في جهته الشرقية. وكنت أتردد مع أقراني من أحداث الحي على الجامع في أكثر أوقات فراغنا للصلاة وللفسحة في رحابه الواسعة، ولحضور الدروس الدينية التي كانت لها حلقات كثيرة بعد أكثر الصلوات الخمس "[2]:

ويقول محمد المبارك عن نفسه: "البيئة التي نشأت فيها بيئة محافظة على الأخلاق الإسلامية الموروثة، تحيا في جو الإسلام وتراثه وتعتز به، سواء في ذلك الأسرة التي انحدرت منهم والحي الذي نشأت فيه. وكانت دار والدي مرتادا للعلماء الوافدين من أرجاء البلاد الشامية والعربية وكنت دائم الحضور لتلك اللقاءات والندوات. وقد استفدت كثيرا من مكتبة جدي ثم والدي رحمهما الله، وكنت مكلفا تزويدها بالمطبوعات الجديدة وتصنيفها كلما اختل ترتيبها"[3].

ويضيف محمد المبارك "فقد أتيح لي أن أعيش طفولتي في أجواء المجتمع الإسلامي المحافظ في مدينة دمشق وأن أنهل في أن واحد من عهد حداثتي من الثقافتين الثقافة المسماة بالحديثة أو العصرية في مدارس الحكومة الابتدائية والثانوية وكانت يومئذ مقتبسة من المنهج الفرنسي مع غلبة الروح العربية عليها وفي حلقات العلماء إذ أتيح لي أن أصاحب بضع سنوات علماء الشام يومئذ الشيخ محمد بدر الدين الحسني المشهور بالمحدث الأكبر وأن أقرا عليه في خلال الفترة(1926/1934)في دروس عامة وخاصة الكثير من كتب الثقافة الإسلامية في شتي العلوم كالتفسير والحديث وأصول الفقه والفرائض والنحو والمنطق والتصوف والحساب والجبر والهندسة والفلك. كما قيض لي أن أقرا على والدي—

1- الهاشمي قروف، محمد المبارك الجزائري وجهوده في الفكر الإسلامي، مذكرة ماجستير في الدعوة الإسلامية، كلية العلوم الاجتماعية والعلوم السياسية، جامعة الحاج لخضر باتنة، 2008-2009م، ص 16-17

2- محمد المجذوب، علماء ومفكرون عرفتهم، ج1، ص229

3- المرجع نفسه، ج1، ص231

وكان من أشهر شيوخ اللغة في بلاد الشام في مثل شروح المعلقات ولامية العرب والمقصورة الدريدية ومقامات الحريري وغيرها إلى جانب المذكرات العلمية المتنوعة" [1]

"نشأ محمد المبارك– في أسرة علم ودين وأدب. والده الشيخ عبد القادر رحمه الله كان عالم اللغة العربية وأستاذا لها في الثانوية الوحيدة في دمشق وقتها (مكتب عنبر) ثم في مدرسة الأدب العليا (التي صارت كلية الأدب العربي لاحقا) وكان يسمي القاموس السيار لمعرفته المدهشة بمفردات اللغة العربية بما في ذلك الغريب والوحشي.

كانت علاقة محمد المبارك بأبيه قوية وحميمة أكثر من مجرد علاقة ابن بأبيه لاسيما وأنه الابن الأكبر كان والده معلمه وأخاه الكبير، وكان يحاوره في المسائل لغوية وعلمية ويمازحه. وكان والدي يحدثني عن سعة صدر والده أن حوارهما في المسائل العلمية لم يمنع الاختلاف أحيانا فجدي كان صوفيا لكن والدي كان يرفض الشطحات الصوفية. كان الشيخ عبد القادر المبارك يحب الرجولة ومظاهرها وكان يرى في ابنه محمد رجلا ويسميه أبا هاشم منذ نعومة أضفاره ومن الطرائف ما رواه عمي الدكتور مازن (وهو يصغر والدي ب 18عاما) أنه في طفولته لم يكن يعرف أخاه الأكبر إلا باسم أبو هاشم"[2].

ويحدثا الدكتور مازن المبارك قائلا: توفي والدي الشيخ عبد القادر المبارك وأنا ابن خمسة عشر عاما والذي عرفته ورأيته أن أخي كان شديد الإعجاب بعلم والده وبسعة اطلاعه وتبحره في اللغة العربية حتي لم يكن يدانيه أحد وقد ظهر هذا حين ألف أخي كتابه في فقه اللغة وقدم إهداء الكتاب إلى أبيه وقال في إهدائه "إلى الروح باعث النهضة اللغوية في بلاد الشام وغارس حب اللغة العربية وتراثها في نفوس الجيل العربي فيها الراوية اللغوي والدي وأستاذي عبد القادر المبارك أهدي كتابي هذا، فهو ثمرة من غرسه وغيض من فيضه رحمه الله اجزل مثوبته"[3].

ويقول عن أسرته "متزوج منذ سنة 1947م.وأب لخمسة أولاد (ثلاث بنات وولدان) وجد لستة أولاد من بناتي المتزوجين. حياتي الزوجية سعيدة لما بيننا جميعا أنا وزوجتي وأولادي وأصهاري من

1-محمد المبارك، الفكر الإسلامي الحديث في مواجهة الأفكار الغربية، د ط، بيروت، دار الفكر، هـ1387-1968م، ص 20-21.

2- مراسلة عن طريق الواتساب مع صالح المبارك ابن الشيخ محمد المبارك، يوم الجمعة 27ديسمبر 2024، على الساعة 16:29 مساء.

3- مراسلة عن طريق الواتساب مع زاهر المبارك ابن الدكتور مازن المبارك، يوم 27 فيفري 2025، على الساعة 18:14مساء.

انسجام في العقيدة والأخلاق وسائر مذاهب الحياة، ذلك أننا جميعا نؤمن بالإسلام إيمانا عميقا مقترنا بالحب له والعمل في سبيله والدعوة إليه. ونعتقد أنه السبيل الوحيد لإنقاذ البشرية وأن ما سواه من الأديان والمذاهب لا يصلح للإنسانية بل إن فهمنا للإسلام أنا وأسرتي التي عددتها فهم واحد قوامه الرجوع إلى الكتاب والسنة وما استنبط منها فحسب"[1].

الفرع الثاني: شيوخ الشيخ محمد المبارك وتلاميذه:

1-شيوخه:

وقد تتلمذ العلامة (محمد المبارك)على يد ثلة من النوابغ وكان لوالده رحمه الله دور كبير في توجيهه وتشكيل ملامح شخصيته العلمية والاجتماعية بأسلوب مميز انفرد به بين معلميه؛ فلقد كان له بمثابة المربي والمرشد والأستاذ، بل والأب الذي غرس فيه روح الحرية الشخصية إذ كانت النقاشات بينهما تدور بحرية تامة رغم اختلاف الآراء أحيانا. وتميزت طريقته في التربية الدينية والأخلاقية بالتوجيه دون إكراه أو تضييق. وكان والده يعلي من شأنه بالرجولة ورفضه لمظاهر الضعف والتكلّف. وقد اتصف بالكرم ويغض البخل، وكانت له مكانة مرموقة في مجتمعه وبين الحكام لما كان يتمتع به من هيبة شخصية واتساع شبكة معارفه وتلامذته إضافة إلى كثرة مخالطته لمختلف فئات الناس وكان في المجالس العامة خطيبا لبقا ومحدثا بارعا[2].

"كانت حياته العلمية مزدوجة تسير في خطين متوازيين أحدهما المدارس النظامية، وثانيهما خط الدراسة القديمة على الشيوخ وفي الحلقات أما دراسته في النظامية درس الشيخ في الابتدائية ثم الثانوية منتهيا بالفرع العلمي وبالشهادة التي كانت تسمي يومئذ شهادة البكالوريا الثانية فرع الرياضيات وكان متفوقا في الدراسة الثانوية، وخاصة في اللغة العربية والرياضيات والفرنسية ثم تابع دراسته الجامعية بدمشق في الحقوق وفي الآداب حيث نشأت مدرسة الآداب العليا وتخرج سنة 1935م، وفي خلال دراسته النظامية كان الشيخ يدرس في الصباح المبكر وفي المساء وفي الإجازة الصيفية على شيخ علماء الشام في عصره الشيخ محمد بدر الدين الشهير بالحسني وكان أوسع أهل زمانه اطلاعا على العلوم الإسلامية القديمة وكان متفردا في نمط حياته وفي عبادته وتقواه وسمته. وقد

1-محمد المجذوب، علماء ومفكرون عرفتهم، ج1، ص 229-230

2-المرجع نفسه، ج1، ص 238.

لازمه منذ نهاية الدراسة الابتدائية حتى نهاية الدراسة الجامعية فاستفاد كثيرا من علمه وقرأ عليه النحو والصرف والتفسير المصطلح والفرائض وأصول الفقه والكلام والبلاغة والحساب والجبر والهندسة "[1].

يقول عنه محمد المبارك: " وكان لشيخنا العظيم العلامة الكبير الصالح التقي المتعبد الشيخ محمد بدر الدين الشهير بالحسني محدث الديار الشامية في عصره، أثر عميق في نفسي في طراز حياته الفريد من نوعه وفي سمته وتقواه وانكبابه على العلم واطلاعه على العلوم بل الثقافة الإسلامية بجميع فروعها، وكانت له بي عناية خاصة في تعليمي وتوجيهي وكانت له في توجيهه مرام بعيدة وكان من جملتها توجيهي بطريقة غير مباشرة، لتعلم اللغة الأجنبية وتشجيعي على السفر إلى أوروبا لتعلم، ولم يكن ذلك مألوفا من أمثاله من علماء العصر، وكان أكثر دهره صائما قلما يتكلم إلا بعلم أو ذكر، يمنع الناس من القيام له ومن تقبيل يده، ويغضب لذلك وكان يعلن في دروسه فرضية الجهاد للإخراج الأجنبي الكافر المستعمر، وكان على صلة مستمرة مع الثائرين على فرنسا في سورية"[2].

ويذكر محمد المبارك إلى جانب والده والحسني تأثير الأمير شكيب أرسلان فيه بقوله: "وكان للأمير شكيب أرسلان رحمه الله أثر عظيم كذلك في نفسي بمؤلفاته وما كان ينشره في الدعوة إلى الوحدة الإسلامية والتحرر من الاستعمار. وقد كان له الفضل علي وعلى أبناء جيلنا في تكوين وعي إسلامي يصلنا بالعالم الإسلامي، ويشعرنا بانتمائنا إلى الأمة الإسلامية ويتجاوز بنا الوطنيات والقوميات التي كانت لها يومئذ سوق رائجة، وقد جعلنا نعيش في أجواء المشكلات الإسلامية وقضايا الإسلام المعاصر بكتبه ومقالاته "[3].

ومن الذين أثّروا في توجيهه الفكري من القدماء ولكنهم لا يعتبرون من شيوخه ابن تيميه ومن بعده تلميذه ابن قيم الجوزية حيث وقع على بعض مؤلفاتهم مثل كتاب الحسبة، والطرق الحكمية والسياسة الشرعية، وكتاب إعلام الموقعين لابن القيم، ولهذه الكتب الثلاثة صلة بالعلوم الحقوقية فتحت له أفاقا جديدة وكشفت له عن جوانب من عظمة التشريع الإسلامي وعن إبداع الفقهاء والمفكرين المسلمين واطلع أيضا على مجموع رسائل ابن تيميه التي كانت موجوده في مكتبة جده وأيضا كتاب (الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح)، ومن خلال هذه القراءات تولد لديه ميل

1-محمد المجذوب، علماء ومفكرون عرفتهم، ج1، ص 233.

2-المرجع نفسه، ص 139.

3- الهاشمي قروف، محمد المبارك الجزائري وجهوده في الفكر الإسلامي، ص30.

شديد لمدرسة ابن تيميه وتلميذه فاعجب بسعة علمه ومستوى تفكيره وبعد آفاقه وحسن فهمه للنصوص واستنتاجاته[1]. ويقول الشيخ محمد المبارك عن مدى تأثير ابن تيميه عليه:" إن تأثير ابن تيميه كان واضحا في تحريري من كثير من الأفكار التي كانت شائعة في البيئة التي نشأت فيها، وقويت عندي ملكة الرجوع إلى الدليل من الكتاب والسنة، وكنت بدأت بسلوك هذا الطريق أثر مطالعتي الكثيرة لكتاب (بداية المجتهد) لابن رشد والموافقات للشاطبي ولم يعد احترامي لشيخي ووالدي رحمهما الله ومحبتي لهما بمانعين لي من مخالفتهما في الرأي حينما يتضح لي الدليل الشرعي والعقلي"[2].

2-تلاميذه:

"كان-يعجبه الشباب الدؤوب المتحمس للعلم، فكان يوليهم رعايته، ولا يدخر عنهم شيئا، ويري فيهم أمل الإسلام البعيد الذي ينقذ هذه الأمة، وينجيها من وعثاء الطريق، والنبتة الطيبة التي تثمر بعد حين فتلاميذه أكثر من أن نحصيهم ولكن نذكر منهم:

-الدكتور محمد لطفي الصباغ: قضي في التعليم أربعين سنة منها أربع سنوات في كلية اللغة العربية والشريعة، ثم انتقل إلى جامعة الملك سعود، وقضي في التعليم فيها ستا وثلاثين سنة ودرس علوم القران والحديث، ثم درس في بعض السنوات النحو، وعلم المكتبة وعلوم أخري.

-الأستاذ سليم البرادعي: عمل في الحرس الوطني في الرياض وحصل على الجنسية السعودية بالتجنس.

- الدكتور نجاح العطار: هي أول امرأة نائب رئيس جمهورية في الوطن العربي كانت وزيرة الثقافة السورية، أنشأت مركز للدراسات الاستراتيجية والإقليمية بعد تركها الوزارة بتكليف من بشار الأسد.

- الدكتور مصطفي جطل: حاصل على الدكتوراه في النحو من جامعة دمشق.

1-محمد المجذوب، علماء ومفكرون عرفتهم، ج1، ص 239-240

2-المرجع نفسه، ص 240.

-عبد الله عبود: حاصل على الليسانس من جامعة دمشق"[1].

الفرع الثالث: أثار الشيخ محمد المبارك العلمية و مؤلفاته:

وأما تعليمه العلمي فقد كان دلالة على حدة ذكائه وبصيرته النافذة، إذ لم يقتصر على تلقي المعرفة بل تعمق في فهمها وتحليلها بعقل ناقد ورؤية منهجية. فيقول عن دراساته الاجتماعية "وكذلك الدراسة الاجتماعية الحديثة ملت اليها، وربما لما فيها من التعليلات السببية للحوادث الاجتماعية، وهي بذلك تمت بسبب إلى الرياضيات، وربما لما أجد فيها من نظريات كشفت لي عن محاسن الإسلام وعظمته، ومطابقته لتطور السليم ومراعاته للعوامل الاجتماعية المؤثرة "[2]

"وأما دراسته في الغرب أي في فرنسا قد كانت استفادته منها كبيرة، خاصة في الأدب الفرنسي وعلم الاجتماع، تمكن بواسطتهما من الغوص المباشر في الفكر الغربي بفلسفته ومذاهبه ومناهجه، ومن دون وسيط، وتمكن من بناء رؤاه الذاتية مستفيدا من هذه الدراسة التي يقول عنها: وسعت أفاقي وأكسبتني بعض المزايا الفكرية ولا سيما في طرائق البحث وأساليب التفكير، لكنها لم تستطع أن تؤثر في معتقداتي ولا أن تغزو عقلي، لكنها زودتني بمعلومات نافعة ومناهج مفيدة، وأثارني جانبها السلبي وحفزني للرد عليها، فتولدت في نفسي كثير من الأفكار الجديدة، و

اكتشفت كثيرا من جوانب عظمة الإسلام وكثيرا من خصائصه، واستحكمت حجتي وقويت في الدفاع عن مزياه، وتمكنت من التمييز بدقة بين مفاهيمه والمفاهيم الغربية لأني عرفت كلا منها من متابعه الاصلية دون اختلاط أو تلفيق ". [3]

"خصص المبارك– السنة الثانية من دراسته في دراسة الأدب الفرنسي وعصوره وفنونه وأعلامه، وحضر على كبار أساتذة الأدب الفرنسي يومئذ، وهذه الدراسة أفادته في تذوق الأدب والقدرة على تحليل النصوص والاطلاع على النقد الأدبي الحديث ونظرياته والمباحث اللغوية الحديثة. أما السنة

1- غزيل بنت شاهر عوده الدعدي، الشيخ محمد المبارك وجهوده الفكرية والثقافية، مذكرة ماجيستر في الثقافة الإسلامية، كلية الدعوة واصول الدين، قسم الدعوة والثقافة الإسلامية، جامعة ام القرى، المملكة العربية السعودية، سنة 1430هـ/1431هـ، ص 17.

2-محمد المجذوب، علماء ومفكرون عرفتهم، ج1، ص 231

3- الهاشمي قروف، محمد المبارك الجزائري وجهوده في الفكر الإسلامي، ص 39

الثالثة فخصصها لدراسة علم الاجتماع كثيفة ومركزة، بحضور المحاضرات والعكوف على المراجع في المكتبة، وكان أساتذة القسم من كبار علماء الاجتماع الفرنسيين من تلاميذ دوركايم وزملائه مثل فوكونه وهالفاكس والبيريان".[1]

نال الشيخ محمد المبارك مجموعة من الشهادات العلمية التي عكست عمق ثقافته وتنوع معرفته نذكر منها:

-شهادة الحقوق من الجامعة السورية سنة 1930م من دمشق

-شهادة مدرسة الادب العليا السورية سنة 1935م من دمشق

-شهادة الليسانس في الآداب من السورين من جامعة باريس سنة 1937م

-شهادة او دبلوم في علم الاجتماع والأخلاق من جامعة باريس سنة 1938م [2]

بعد عودة محمد المبارك– من بعثته إلى باريس وإتمامه دراسته في جامعتها بدأ مسيرته التعليمية بتدريس اللغة العربية في المدرسة الثانوية وذلك خلال عامي 1938-1939ثم انتقل إلى دمشق حيث واصل تدريسه في ثانويتها الكبرى فدرس الأدب العربي وأحيانا مادتي الأخلاق والمنطق بالإضافة إلى النصوص الفلسفية كما درس في دار المعلمين وكان له نشاط بارز في إلقاء المحاضرات العامة في أندية العاصمة المختلفة متناولا فيها موضوعات متعددة تشمل اللغة الأدب والقضايا الاجتماعية والفكر الإسلامي.[3]

"باشر الأستاذ البحوث العلمية في وقت مبكر من حياته، وكان لازال طالبا، فقد بحث في تاريخ الرياضيات عند المسلمين، ونشر بحثا في الموضوع، وبحثا في التجارب العلمية عند المسلمين، ونشر نصا لتجربة أبي الريحان البيروني في الكثافة، وكان ذلك في عام 1934م في مجلة الرسالة.

وكتب مذكرة في التشريع الإسلامي مع مقارنته بالتشريع الغربي، وقع عليها طلاب الحقوق يومئذ، وقدمت للجنة المؤلفة للنظر في الموضوع، وذلك في عام 1935م وقد نشر نصها في كتابه (الفكر الإسلامي) ولكن تأليفه العلمي تأخر حتي عام 1957م أي بعد تخرجه بنحو 19 سنه

1-محمد المجذوب، علماء ومفكرون عرفتهم، ج 1، ص 234.

2- محمد المجذوب، علماء ومفكرون عرفتهم، ج 1، ص235.

3- المرجع نفسه، ص236.

حيث أخرج كتابه في فقه اللغة الذي كان يدرس موضوعه في كلية الآداب، ثم كتاب خصائص العربية وفي عام 1959م ألف كتاب الأمة العربية في معركة تحقيق الذات وهو متضمن إثبات ضلال من يفصلون العرب عن الإسلام وخيانتهم للعرب، وفي نفس السنة أخرج كتابه الأمة والعوامل المكونة لها وأخرج في تلك الفترة أيضا كتابا في دراسة النصوص القرآنية بعنوان من منهل الأدب الخالد"[1].

ثم توالت تأليفاته بعد أن توسعت مداركه وتنوعت مشاربه الثقافية والعلمية والدراسية ونذكر من مؤلفاته ما يلي:

- نحو إنسانية سعيدة 1957م
- نظام الإسلام 1957م
- العقيدة في القران الكريم 1968م
- الفكر الإسلامي الحديث في مواجهة الأفكار الغربية 1969م
- المجتمع الإسلامي 1996م
- نظام الإسلام العقيدة والعبادة 1975م
- نظام الإسلام العقائدي في العصر الحديث 1989م
- الدولة ونظام الحسبة عند ابن تيميه 1972م.[2]

الفرع الرابع: وفاة الشيخ محمد المبارك وأقوال العلماء فيه

1-وفاة الشيخ محمد المبارك:

"توفي رحمه الله بعد مسيرة علمية وعملية حافلة بالعطاء وخبر وفاته أورده كما ذكرته ابنته الكبرى الوالدة مع أختي الصغرى جمانة كانتا معه في زيارة المدينة المنورة آنذاك حيث صلى الفجر يوم الخميس الثاني من ربيع الأول 1402هـ الموافق ل 5ديسمبر 1981م، في المسجد النبوي وعاد معهما إلى الغرفة ثم نزل بعد ذلك من الفندق حيث كان بانتظاره في السيارة أحد أساتذة الجامعة ثم قال كلماته الأخيرة قرب البقيع قال "هنيئا لمن يدفن في البقيع وتوفي بعدها بوقت قصير في السيارة إثر نوبة قلبية وكانت صلاة الجنازة عليه بعد صلاة الجمعة في المسجد النبوي وتمت صلاة الجنازة عقيب

1- محمد المجذوب، علماء ومفكرون عرفتهم، ج1، ص 259-260

2- المرجع نفسه، ص 260-261

صلاة الجمعة، حضرها عشرات الآلاف من المسلمين، ودفن في مقبرة البقيع بالمدينة حيث كان يتمنى وكان قبيل وفاته بيومين يحاضر في جامعة الملك عبد العزيز بجدة"[1].

تلك هي نهاية مسيرة رجل أنفق من حياته جزءا معتبرا لخدمة هذه الأمة، فكانت نهايته كما تمنى رحمه الله.

2- أقوال العلماء وبعض المقربين فيه:

شكل رحيل الدكتور محمد المبارك المفاجئ خسارة فادحة للفكر الإسلامي في لحظة كان فيها في أوج عطائه العلمي والفكري فلم يكن مجرد باحث أو أستاذ جامعي بل كان حاملا لمشروع فكر أصيل يسعى من خلاله إلى المساهمة في إعادة بناء الوعي الإسلامي على أسس صحيحة مستمدة من العقيدة التوحيدية ومعالجة قضايا الأمة في إطار التشريع الإسلامي انتقل إلى جوار ربه بعد حياة حافلة بالبذل والعطاء والعلم النافع رحمه الله تعالى: نحسبه كذلك ولا نزكي على الله أحدا.

ويقول عنه الدكتور يوسف القرضاوي رحمه الله تعالى: "كان الأستاذ المبارك أحد الذين يفكرون بالإسلام ويفكرون للإسلام، وهكذا عاش لهذا الدين فهو أحد العقول القلائل في هذا العالم الإسلامي التي تفكر بالإسلام ولو أحببنا أن نعد عشرة عقول في العالم الإسلامي تفكر للإسلام وبالإسلام لكان الأستاذ المبارك من ألمعها".

ويتابع الشيخ يوسف القرضاوي كلامه بقوله: ويتميز الأستاذ المبارك بالاعتدال، والتوازن، أنه لا يقف متطرفا، لا يقف على طرف ضد طرف أخر، أنه يحاول أن يقف الموقف الذي وصف الله به أمة الإسلام (وكذلك جعلنكم أمتا وسطا) أنه في المعارك التي يقف فيها الناس عادة كل منهم في طرف يحارب الأخر كمعارك الصوفية والسلفية او المذهبية واللامذهبية (...) أو غير ذلك نجده يقف الموقف المعتدل الذي ينبع من روح الإسلام ومن فلسفة الإسلام، فلسفة وسطية في الإسلام وفلسفة التوازن في الإسلام"[2].

ويقول صالح المبارك (الابن الأصغر): "لا أبالغ إذا قلت أنه أثر في نفسي أكثر من أي شخص رأيته أو عاشرته رغم أني لم أدرك قيمته وتأثيره إلا بعد وفاته بسنوات فقد توفي ولى من العمر 23عاما

1- فتيحة دوار: "مؤلفات المفكر الجزائري محمد المبارك، دراسة تحليلية نقدية "، كلية العلوم الإسلامية جامعة الجزائر 1بن يوسف بن خدة، مجلة رسالة المجسد، سنة النشر 2021-11-29، ص81

2- الهاشمي قروف، محمد المبارك الجزائري وجهوده في الفكر الإسلامي، ص 67-68.

ولم أكن قد قرأت كتبه بعد رغم أني كنت حريصا على حضور جلساته مع زملائه وطلابه قدر الإمكان وكان رحمه الله خلافا للأعراف المتبعة حينئذ لا يمنعني من الجلوس مع الكبار منذ أن كنت طفلا صغيرا بل لم يكن يمانع من مشاركتي في الحديث رغم أني كنت أحيانا أتحدث بشكل طفولي فيضحك ولا ينهرني أبدا ، كنت أحب مرافقته ومجالسته فأحيانا يمتحن قدراتي في الحساب الرياضيات وأحيانا أخرى في النحو والإعراب وأحيانا في معاني بعض الكلمات وأحيانا يعطيني نصا أو أية أو حديث أو قول ثم يسألني عما فهمته منه، وأحمد الله تعالى: أن هيا لي أبا عالما عاقلا واعيا فقد درست المرحلتين الإعدادية والثانوية في مكة المكرمة وكانت منهاجا تحوي أمورا لا يقبلها عقلي فأعود إلى البيت وأطرحها على أبي وأناقشه ويقنعني بشكل منطقي عقلاني لا إكراه فيه ولا زجر"[1].

"ولقد كتب الأستاذ محمد المجذوب كلمة بعنوان في ذمة الله يا أبا هاشم فقال: انتقل رحمه الله من جدة بعد إلقائه أخر محاضرته على طلبته في جامعة الملك عبد العزيز إلى بلد الحبيب صلى الله عليه وسلم ليظفر هو ومن معه من أسرته من نفحاته على دأبه في مثل هذه الأيام من كل عام، ويشاء الحكيم أن يختم تلك السيرة المباركة بالنهاية التي ما برح الكثير من إخوانه يتلهفون إلى مثلها: صلاة العشرات من آلاف المؤمنين على جنازته عقيب صلاة الجمعة ثم مواراته تراب البقيع مع ثلة من صحابة رسول الله وأهل بيته الطاهرين، وما أسعدها من نهاية حظي بها حيث استقر في نهاية مطافه بمدينة سيد الخلق، التي طالما عبقت بأنفاس نبيه صلى الله عليه وسلم.

وكان لثقافته العميقة رحمه الله في كلا الميادين القديمة والحديثة مجالها الملائم فإذا هو ينتقل من تصحيح مسيرة التدريس إلى تقويم الاتجاه في تخطيط المناهج الأساسية، وماهي إلا خطوة أخري حتى أصبحت هذه المناهج ذات التأثير الهام في عقلية الجيل.

كذلك كان رحمه الله أحد الأعضاء الأوائل في المجلس الاستشاري في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة وأن له الأثر المحمود في تركيز مناهجها على وجه يليق بجامعة تحتل المكان المتقدم بين جامعات العالم الإسلامي فلا جرم أن يكون الرزء بأبي هاشم كبيرا في قلوب عارفيه ومحبيه من هذه الجامعة، وإن يمتد الأسى إلى سائر الجامعات التي أسهم في خدمتها، وأنه من المتعذر على الراصد لنشاط هذا الفقيد أن يقصر وضع الكارثة به على الوسط الجامعي وحده بل امتد إلى أولئك الذين ألف حب

1-مراسلة عن طريق الواتساب مع صالح المبارك ابن الشيخ محمد المبارك، يوم السبت 15فيفري 2025، على ساعة 15:27 مساء.

الإسلام والعربية بينه وبينهم، فهم يحبونه بحبهم للإسلام ويحبونه بحبهم للغة القرآن العظيم التي شرفها الله بكتابه"[1].

"كان محمد المبارك– حريصا على حرمات الدين والقيام بالفروض وبعض النوافل وتجنب المعاصي وكان يؤكد علينا ذلك بقوله وفعله، لم يكن ممن يكثرون النوافل مثل قيام اليل وصيام التطوع ولكنه كان يؤكد على أهمية مساعدة الأخرين وأداء الحقوق والابتعاد عن الظلم بأي شكل كان ومن الأمور التي أذكرها فيه دوما وقد أثرت إيجابيا في حياتي هو ترفعه عن التوافه والأمور المادية واهتمامه بقضايا الأمة إلى درجة كبيرة، كان والدي يقول أن الإسلام نظام فليس المشكلة فقط فيمن يبتدعون أمورا ليست من الدين أو من يحذفون أمورا هي من الدين ولكن المشكلة أيضا فيمن يشوهون النسب لما هو موجود في الدين فيعطون أهمية أكبر لأمر ما على حساب أمر أخر، وهناك الكثير من الأمثلة التي كان يضربها، وأذكر قوله لي: الكاريكاتير هي صورة حقيقة لشخص ما ولكن الرسام تلاعب بأحجام الأعضاء (العيون –الأنف – الشفتين –الأذنين – الذقن الجبهة) فصغر بعضها وكبر الأخرى فجاءت الصورة مشوهة ساخرة وكذلك الإسلام حين تتلاعب بنسبه فتعطي قضية أعطاها الإسلام 10بالمئة أهمية مقدار60بالمئة بينما تنزل أهمية قضية أخرى من 70بالمئة إلى 5بالمئة فيأتي الإسلام مشوها محرفا.

وقد كتب قبيل وفاته (عام 1981) أسطرا فيها معنى عميق نراه اليوم: يمتاز الجيل الإسلامي الجديد في أكثر البلدان الإسلامية بوعي إسلامي أشمل وأعمق وهو في نمو إذا لم تنجح القوى الخارجية بمختلف وسائلها المؤثرة لتعويق سيره وإضعافه وتطويقه، ولكن خطرا أخر داخليا يهدده وهو انقسام هذا الجيل إلى تيارات متباينة في فهمها للإسلام وتركيز كل منها على جانب دون جانب واستشعارها الجفاء فيما بينها في الفهم والتصور، وما لم يزل هذا الشعور بالجفاء من كل فريق فالنجاح بعيد والإثم واقع على الجميع في مجافاة فئة مسلمة، سواء أكانت مصيبة في فهمها للإسلام أو مخطئة"[2].

1- غزيل بنت شاهر عوده الدعدي، الشيخ محمد المبارك وجهوده الفكرية والثقافية، ص 32-33.

2-مراسلة عن طريق الواتساب مع صالح المبارك ابن الشيخ محمد المبارك، يوم السبت 15فيفري 2025، على ساعة 15:27 مساء.

المبحث الأول:

الله وتوحيده وآثاره في بناء الرؤية الكونية عند محمد المبارك

المطلب الأول: الله وتوحيده في القرآن الكريم:

الفرع الأول: التوحيد والذات الإلهية في فكر محمد المبارك

الفرع الثاني: طريق القرآن في عرض الحقيقة الإلهية

الفرع الثالث: صلة الله بالكون في فكر محمد المبارك

المطلب الثاني: أهمية التوحيد ودوره في تشكيل الرؤية الكونية عند محمد المبارك

الفرع الأول: التوحيد وأبعاده الأخلاقية والاجتماعية

الثاني: التوحيد وأثره في بناء التصور الكوني

الفرع الثالث: التوحيد والرؤية الفكرية عند محمد المبارك

في هذا المبحث سأذكر إن شاء الله أبرز معالم التوحيد في فكر محمد المبارك مبينة دوره الأساسي في تشكيل رؤيته الكونية وانعكاساتها على مختلف مجالات الحياة.

المطلب الأول: مفهوم التوحيد عند محمد المبارك:

يعد محمد المبارك من المفكرين الذين أسسوا رؤية كونية توحيدية تجمع بين العقيدة والفكر وتوحد بين المعرفة الدينية والعقلية لفهم الوجود والإنسان والمجتمع فقد قدم تصورا متكاملا للحياة يقوم على التوازن بين الروح والمادة والفرد والمجتمع انطلاقا من التوحيد كمبدأ محوري وأعتبر أن هذه الرؤية ليست مجرد طرح نظري بل هي منهج عملي يوجه الإنسان في علاقته بالله والكون والناس ويؤسس مجتمع متماسك قائم على العدل والمسؤولية وفق مبادئ الإسلام التي تحقق الانسجام بين الدين والعقل والإيمان والعمل.

وقد استند إلى القرآن الكريم ينهل منه العقيدة ويلتمس الإيمان من ينبوعه الأصلي حيث وجد فيه مجالا أرحب وأفقا أوسع ومادة أخصب ونورا أبعد وأسلوبا أكثر تنوعا وحيوية وأشد صلة بحياة الإنسان وعواطفه، كما استعرض الأساليب الحية والطرق المتنوعة التي يستخدمها القرآن في توجيه الإنسان انطلاقا من ذاته والكون من حوله للوصول إلى الإيمان بالله واليوم الأخر وعرض ذلك كله عرضا يتناسب مع أساليب العصر[1].

الفرع الأول: التوحيد والذات الإلهية في فكر محمد المبارك:

إن الحقيقة الإلهية لا تنبع من العقل البشري فالله تعالى: في ذاته لا يدرك لا بالعقل ولا بالحس وإنما يعرف بوحيه الإلهي الذي كشف به عن ذاته وصفاته وأفعاله، والحقيقة الإلهية تتجاوز كل الممكنات المخالفة لها في أي مستوي من مستويات الوجود سواء أكان حسيا مدركا أم عقليا مجردا وقد كان الأستاذ محمد المبارك مواكبا للنسق القرآني في تبيان الحقيقة الإلهية في التصور الإسلامي فيقول:" إن ارتفاع فكرة الله الخالق الذي لا يشابه في وجوده وصفاته الكون المخلوق قد هبط حالا بكل فكرة أخرى تقوم على تأليه الطبيعة أو جزء منها أو فرد من أفراد البشر، فتتساوى المخلوقات

1- محمد المبارك، العقيدة فالقران الكريم، (د ط) بيروت، دار الفكر، (د ت)، ص 7

ويرتفع الإنسان بمقدار ما أوتي من عقل مفكر وإرادة فاعلة وروح مستمدة من الله "[1]فالله سبحانه وتعالى: هو مقصد كل نبي وغاية الرسالات وهدف النبوات والقران الكريم بأسره يدور حول الإيمان به إما بحديث مباشر عنه أو بدعوة إلى عبادته وأداء حقه أو بالأمر بطاعته والنهي عن معصيته أو ببيان حال الكافرين به ومصيرهم [2].

وقد عرف الأستاذ محمد المبارك (الله) بقوله: هو وجود مطلق كامل يتصف بالحياة والقدرة والإرادة، فبما أن الكون ملئ بالمخلوقات التي تتمتع بهذه الصفات بشكل محدود كالحيوانات والإنسان فإن من أوجدها لابد أن يتصف بصفات أسمى وأكمل وأشمل غير محدودة بقيود النقص والضعف، فالله سبحانه وتعالى حياته دائمة وكاملة لا يعتريها نوم ولا فناء ولا ضعف بخلاف المخلوقات التي تبدأ بالولادة وتبتلى بالمرض والخرف والنسيان وتنتهي بالموت، وعلمه جلا وعلا محيط لا يعتريه نسيان ولا غفلة ولا تحده حدود زمانية أو مكانية كما أنه سبحانه منزه عن النسب أو القرابة أو الولادة [3].

فعقيدة التوحيد هي الوسيلة الرئيسة الموصلة من النظرية إلى التطبيق، ومن الاعتقاد إلى الحياة ومن المثالي إلى الواقعي وينطوي هذا المبدأ على أن الله الواحد في ذاته لا يتجزآ وواحد في صفاته لا يتصف بقوتين أو علمين وواحد في أفعاله لا يؤثر في فعله غير ذاته، ولتحقيق إطار توحيدي واقعي في التصور الإسلامي يجب رفض وجود أي علاقة قرب أو تجانس وجودي بين الحقيقة الإلهية المطلقة (الله) وبين النسبي (الخلق) بل أن وجود هذه العلاقة يعد مصدرا للشرك بالله وهو أمر تحرمه منظومة الاعتقاد الإسلامية.[4]

ومن كمال الله تفرده بوحدانية، فلا يحتاج إلى شريك في خلقه أو قدرته، إذ لو كان له ند أو شريك لا تنفى وجوب وجوده، حيث يمكن الاستغناء عنه بشريكه، كما أن تشابه المثلين يستلزم وجود سبب

---

1 بن داشة عز الدين، خالد محجوب، "الرؤية الكونية التوحيدية لمحمد المبارك "، مجلة المعيار، العدد1، سنة 20/12/2024، ص179.

2 فتيحة دوار، الدرس العقدي عند محمد المبارك، (مذكرة ماجستير في العقيدة)، كلية العلوم الإسلامية، قسم العقائد والأديان، الجزائر، 1431هـ/2005م، ص128

3 محمد المبارك، نظام الإسلام العقيدة والعبادة، ط2، بيروت، دار الفكر، 1423هـ /2003م، ص 49-50

4 أحمد داود أوغلو، النموذج البديل أثر تباين المعرفية الإسلامية والغربية في النظرية السياسية، ط1، بيروت، دار البيضاء، سنة 2019، ص86

خارجي أوجد هذا التماثل، مما ينفي عن أي منهما صفة الألوهية والخلق[1]. قال الله تعالى: في كتابه الكريم مبينا حقيقة التوحيد وعظمته: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ ﴾ [البقرة: 255] فخلق الأشياء وتقدير سنتها يقتضي القدرة كما يقتضي العلم بها وبخفاياها وتملكها عليها والتحكم بها وبمصيرها فالكون منقاد لمشيئته لقوله تبارك وتعالى: ﴿ وَلَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ كُلّٞ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴾ [الروم: 26]، وعليه انبسط ملكه وسلطانه لقوله تبارك وتعالى: ﴿ وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ ﴾ [البقرة: 255]والله الذي يحي ويميت ويقدر سنة الحياة والموت للمخلوقات فلا بد أن يكون الحي على الوجه الأكمل، وإذا كان السمع وادراك الأصوات والبصر وإدراك المرئيات فالله خالق الأصوات والمرئيات وخالق حاستي السمع والبصر وهو الأحق بأن يتصف بهاتين الصفتين على الوجه الأكمل، بل أن إدراكه لمخلوقاته أعظم وأوسع من أن تحيط به اللغة إلا سبيل التقريب لقوله تبارك وتعالى: ﴿ لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ﴾ [الأنعام: 103]. وهكذا يذهب الأستاذ محمد المبارك إلى القول أن القرآن الكريم من خلال دعوته المقنعة الإيمان بالله والإقرار بكونه الخالق الذي تتجلى فيه الصفات الإلهية مثل القدرة، والإرادة، والعلم، والحياة، والوحدانية وسائر صفاته العليا.[2]

الفرع الثاني: طريقة القرآن في عرض الحقيقة الإلهية والدعوة إلى الله:

ويذكر المبارك رحمه الله أن القرآن الكريم يدعو الإنسان إلى الإيمان بالله منطلقا من الإنسان نفسه ومن البيئة التي تحيط به سواء في الطبيعة التي يعيش فيها أو في امتداد الكون من حوله، ولهذا يرى أن العديد من آيات القرآن الكريم تضمنت مشاهد كونية وصورا من الطبيعة كقضية بداية الخلق أو النشأة الأولى وكقضية التنظيم والتقدير وربط أجزائه ببعضها البعض للوصول بأسلوب مقنع إلى الخالق الذي أنشأ الكون وأبدعه ووضع له قوانينه وسننه[3].

1- محمد المبارك، نظام الإسلام العقيدة والعبادة، ط2، ص 50

2- المرجع نفسه، ص 30-31

3-المرجع نفسه، ص، 11.

ويبين لنا الأستاذ محمد المبارك تناول القرآن الكريم لمسألة الخلق الإيجاد بتفصيل بالغ في آيات عديدة لأنها تعتبر من أعظم المسائل التي لا يجد العقل السليم لها إجابة مقنعة سوى أن لهذا الكون خالقا عظيما أبدعه بحكمة وأتقن نظامه بقدرة مطلقة وقد بين الله سبحانه هذه الحقيقة في قوله﴿ **أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾** [النحل: 17]

كما دعانا القرآن الكريم كما يرى الشيخ المبارك إلى النظر والتفكر في جانبين أساسيين:

الجانب الأول: الخلق والإبداع: من خلق هذا الكون؟ ومن فطره؟ حيث أن القرآن الكريم جاء بالإجابة القطعية في آيات كثيرة مبينا أن الله سبحانه وتعالى: هو خالق هذا الكون وفاطره، قال تعالى: **﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦ خَلۡقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفُ أَلۡسِنَتِكُمۡ وَأَلۡوَٰنِكُمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّلۡعَٰلِمِينَ﴾** [الروم: 22]

وقوله تبارك وتعالى: **﴿إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلۡفُلۡكِ ٱلَّتِي تَجۡرِي فِي ٱلۡبَحۡرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٖ فَأَحۡيَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٖ وَتَصۡرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلۡمُسَخَّرِ بَيۡنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ﴾** [البقرة: 164][1]

فكل ما في هذ الكون مما أبدعه الله وأنشأه يدل دلالة قاطعة على وجوده سبحانه، فكل صاحب عقل راجح وبصيرة نافذة سيدرك من خلال هذه الآيات أن هناك خالقا عظيما أوجدها بحكمة وإتقان وسيرشده التأمل فيها إلى الإيمان بوحدانيته.

والجانب الثاني: نظام الكون وتكامله: الذي ينطلق منه القرآن ليرشدنا إلى الخلق في منظور الشيخ المبارك هو نظام الكون المتكامل حيث ترتبط أجزاؤه ببعضها البعض وتكمل بعضها بشكل دقيق، كما أن الأحداث تجري فيه وفق سنن إلهية محكمة ومن الآيات القرآنية التي توصل الإنسان إلى فكرة الخالق المقدر المدبر منها:[2]

1-المرجع نفسه، ص 19-21.

2- محمد المبارك، العقيدة فالقران الكريم، ص 22

أ: **خلق الكثرة من الوحدة والوحدة:** من الكثرة لقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍۖ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ بَطْنِهِۦ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰٓ أَرْبَعٍۚ يَخْلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [النور: 45]

ب: **الخلق عن طريق النمو الذاتي:** كخلق الإنسان لقوله تبارك وتعالى:﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [النحل: 7]

ج: **الخلق المنتقل من طور إلى طور بإنتظام وإطراد:** قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةًۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُۚ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْقَدِيرُ﴾ [الروم: 54]

د: **ترتيب أمر على أخر أو حدوث أمر عقب حدوث أمر أخر بإنتظام مستمر:** لقوله تبارك وتعالى: ﴿وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ﴾ [النمل: 60] [1]

ويذهب الأستاذ محمد المبارك إلى أن القرآن الكريم يسلك القرآن الكريم عدة مسالك في دعوته الإنسان إلى الإيمان بالله حيث يخاطبه بطرق متنوعة تلامس مصالحه وحاجاته وملذاته، كما يتناول قضاياه ومشكلاته مما يثير تطلعه ويدفعه للبحث عن الحقيقة التي تربط حياته الحاضرة بمصيره البعيد وبهذا التوجيه ينفتح عقل الإنسان للتفكر في الخالق عز وجل ويتهيأ لتقبل الحقائق الإيمانية التي ينسج فيها المنطق مع الفكرة وتتحقق من خلالها مصلحته الحقيقية في الدنيا والأخرة، وبهذا النهج يمنحه القناعة قائمة على منطق العقل ويغرس في نفسه شعور العميق بصلته بالمنعم، ليصبح إيمانه مزيجا من الفكر والعاطفة فالقرآن يخاطب القلب والعقل معا باعتبارهما متصلين لا منفصلين كما يشير إلى ذلك قوله تبارك وتعالى: : ﴿أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُۖ﴾[المجادلة: 22] -[2].

الفرع الثالث: صلة الله بالكون في فكر محمد المبارك:

إن الله في رؤية محمد المبارك ليس حقيقة مجردة منعزلة عن الوجود كما زعم أرسطو ومن تبعه من الفلاسفة بل هو حقيقة متعالية من حيث ذاته لكنه في الوقت نفسه على صلة وثيقة بالكون فالله في

1- المرجع نفسه، ص 24-26

2-محمد المبارك، العقيدة فالقران الكريم، ص 35-36

رؤية المبارك هو الخالق المطلق الذي أوجد الكون بمادته ونظامه وجعل له قوانين وسننا يسير وفقها محققا بذلك التوازن والتكامل في مسيرته [1] فهو الذي أوجد أصله من العدم وأرسي سننه ونظمه بحكمة وإتقان وبما أنه الخالق فهو المالك لكل ما في الكون والمتصرف فيه بإرادته المطلقة ومادام هو الموجد لسننه وقوانينه فهو كذلك الحاكم ببقائه واستمراره والقادر على إلغائه وتبديله قال الله تعالى: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأعراف: 54] ويضرب لنا الشيخ محمد المبارك مثالا لذلك المهندس الذي أشاد معملا على طريقة معينة ونظام معين يستطيع أن يعيد إنشاء المعمل على نظام أخر والمهندس مخلوق فكيف بمن خلق الكون وخلق نضامه [2]إن هذه النظرة إلى الكون كما جاء بها القرآن الكريم تخالف نظرة الماديين إلى الكون حيث يقول الأستاذ المبارك مقارنا بين نظرة المؤمن ونظرة المادي للكون: "إن المادي ضيق الأفق محدودة والمؤمن واسع الأفق لا يقف عند حدوده والمادي ينظر إلى الكون نظرة جافة جامدة والمؤمن ينظر إليه من خلال نظرته إلى عظمة الله ورحمته وفضله فيتصل بالكون والطبيعة اتصالا ربانيا يشعر من خلاله بنبضة الحياة وخفقة الروح ويستشعر العظمة والرحمة في نظرته أنه أوسع عقلا وأيقظ قلبا وأرهف ضميرا وحسا" [3]

فالكون يسير بنظام دقيق غير أن هذا النظام مرتبط بإرادة الله وقدرته واستمراره مرهون بمشيئته العليا لذلك فان الإيمان بالله خالقا ومدبرا يعد جزءا أساسيا في فهمنا للكون والطبيعة بما فيها من تطور وسنن وقوانين فهذه الظواهر جميعها قائمة على عناية الله ورعايته وتخضع في مسيرتها ووجودها لأمره مصادقا لقوله تبارك وتعالى: ﴿وَلِلَّهِ يسجد مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [النحل: 49][4].

وبناء على ما تقدم ذكره فإن الشيخ المبارك يؤكد أن كافة أشكال الترابط في الكون بين الأسباب ونتائجها والعلل ومعلولاتها هي مخلوقة ومرتبطة بوجود أسمي وأكمل من وجودها وهو وجود الخالق الذي أبدعها وحدد سننها يقول في هذا السياق "ولذلك لا يطلق على الله الخالق في العقيدة الإسلامية لفظ السبب ولا علة لأنه خالق الأسباب والعلل ومقدر سننها وقوانينها"[5].

1- بن داشة عز الدين، خالد محجوب، "الرؤية الكونية التوحيدية لمحمد المبارك "، ص 179.

2-محمد المبارك، نظام الإسلام العقيدة والعبادة، ط2، ص 51

3-محمد المبارك، نحو إنسانية سعيدة، ط1، بيروت لبنان، دار الفكر، سنة 1426/1420هـ، 2005م، ص33

4-محمد المبارك، نظام الإسلام العقيدة والعبادة، ط2، ص 52

5-محمد المبارك، نظام الإسلام العقيدة والعبادة، ط1، بيروت، دار الفكر، 1388هـ/1968م، ص52

المطلب الثاني: أهمية التوحيد ودوره في تشكيل الرؤية الكونية عند محمد المبارك

الفرع الأول: التوحيد وأبعاده الأخلاقية والاجتماعية

بعد أن تناولنا في المطلب الأول مفهوم التوحيد عند محمد المبارك يتضح لنا أن تأثير هذا المفهوم لا يقتصر على الجانب العقدي بل هو مصدر القيم الأخلاقية والمبادئ الاجتماعية التي توجه سلوك الأفراد والجماعات فالتوحيد في رؤيته لا يقتصر على الإقرار بوحدانية الله بل يمتد ليشكل منهجا للحياة يقيم علاقة متوازنة بين الإنسان وربه وبين الإنسان وذاته وبين الإنسان والمجتمع ومن تجلياته الأخلاقية "التوحيد يوقظ الضمير وينمي الحس الإيماني في قلب الإنسان فيجعله واعيا برقابة الله في كل حركة وسكنة مستشعرا عظم الأمانة التي يحملها فالموحد الحق يخشى الله في كل عمل يؤديه أو حركة يقوم بها وتشعر الإنسان بمسؤوليته الأخيرة أمام الله المطلع عليه فيما يسر ويعلن، كما أن التمثل الحسي للعقيدة التوحيدية في قلب الإنسان وعقله يحرره من سلطان الأهواء والشهوات ويزرع فيه الاستقامة والعدل والإحسان في التعامل مع الأخرين" فالتوحيد لا يكتمل إلا حين ينعكس عن الأخلاق فيجعل الإنسان متزنا في تصرفاته متسامحا في معاملاته ومتحليا بالقيم الفاضلة التي تعزز روابط المجتمع وترسي دعائم المحبة والعدل لقوله تبارك وتعالى: : ﴿**وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ** ﴾[النور: 22].

ويرى الأستاذ محمد المبارك أن عقيدة التوحيد وسيلة فعالة لتحرير البشر من سيطرة الآلهة المزيفة والملوك المستبدين والمتجبرين والأقوياء الظالمين كما شكلت نقطة انطلاق لتحرير الإنسان من مختلف أشكال العبودية الفكرية والاجتماعية والسياسية ومن هيمنة بعضهم على بعض مع ترسيخ مبدأ المساواة بينهم بوصفهم عبادا ومخلوقات مكرمة تتمتع بكرامة إنسانية [1]حيث وردت العديد من الآيات القرآنية في سورة القصص التي تبرز فيها شخصية فرعون القاتل ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى ﴾ **[القصص: 38]**وفي قصة قارون ﴿إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ

1-محمد المبارك، الفكر الإسلامي الحديث في مواجهة الأفكار الغربية، ص37

فَبَغَىٰ عَلَيۡهِمۡۖ ﴾ [**القصص:** 76] ولقد كان الهلاك مأل فرعون وقارون وكان البقاء لله وحده وبهذه الفكرة كما يرى محمد المبارك تنهي السورة قصة المتألهين على الناس فتنتهي بنا بقوة إلى عقيدة التوحيد والإيمان بالله وحده لقوله تبارك وتعالى: ﴿ وَلَا تَدۡعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۘ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۘ كُلُّ شَيۡءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجۡهَهُۥۚ لَهُ ٱلۡحُكۡمُ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴾ [**القصص: 88**][1].

الفرع الثاني: التوحيد وأثره في بناء التصور الكوني

إنّالتصور الكوني عند محمد المبارك ينبثق من فهمه العميق للتوحيد فاذا نظرنا في هذا الكون العظيم وجدناه متكاملا يتمم بعضه بعضا فنزول المطر يتصل بإنبات الأرض وإثمار النبات يغذي الإنسان والحيوان وانطلاق أشعة الشمس نحو الأرض في النهار يقيم الحياة فيها ويسبب كثيرا من الحوادث ودوران الأرض يجعل سطحها جميعه معرضا للشمس ولو كانت ثابتة لكان نصفها نهارا دائما ونصفها الأخر ليلا مدلهما[2]. فلقد عرفنا أن لهذا الكون مدبرا ولا نزال في كل يوم نكتشف من أسرار خلقه ما يزيدنا إيمانا بحكمته وبكماله المطلق ورحمته فيما يطلق أوليس من مقتضي حكمته وعدالته أن يكمل هذه الحياة البشرية ويعوض ما فيها من نقص وشر وظلم في حياة كلها إلى خير وكمال وعدل ورحمة، إن قليلا من التفكير السليم والفطرة الصادقة يكفي لأن يؤمن الإنسان بهذه الحياة المثالية الكاملة.[3]

الفرع الثالث: التوحيد والرؤية الفكرية عند محمد المبارك:

يرى محمد المبارك أن التوحيد هو الأساس الذي تنطلق منه الرؤية الفكرية الإسلامية إذ يوجه الإنسان إلى فهم الكون والحياة من منظور إيماني وعقلي متكامل فلقد أزال الحواجز الكثيفة التي كانت تفصل بين الإنسان والطبيعة الذي كان يؤله بعض المظاهر الطبيعية كالنجوم والرياح ويخشاها لكن عقيدة التوحيد جاءت لتؤكد أن هذه المخلوقات إنما هي من صنع الله ومسخرة للإنسان وبهذا الوعي

1-محمد المبارك، العقيدة فالقران الكريم، ص 37

2-محمد المبارك، نحو إنسانية سعيدة، ص61

3- المرجع نفسه، ص 62

ارتفعت الحجب التي كانت تمنع الإنسان من التفاعل مع الكون ودفعت به إلى التفكير في أصله ونظامه للوصول إلى الإيمان بالخالق المدبر قال الله تبارك وتعالى: ﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿17﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿18﴾ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿19﴾ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴾ **[الغاشية: 17-20]** وبهذا إرتقي التفكير الإنساني من مجال الخرافات والأساطير إلى التأمل العلمي والمشاهدة الصحيحة ليصل بذلك إلى الحقيقة، [1] ومن خصائص العرض القرآني للكون كما يرى الشيخ المبارك أنه قرنه دائما في آياته الكريمة بالألفاظ الدالة على التفكير واتخاذ الحواس والعقل أو التفكير وسيلة لمعرفة ما في الكون من حقائق وسنن لقوله تبارك وتعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا نَسُوقُ ٱلْمَآءَ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَٰمُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ ۖ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴾ **[السجدة: 27]**وفي آيات أخرى توجيه الإنسان لاستثمار ما في الكون وتسخيره لمنفعته بتخير وإعداد من الله مع الإشارة إلى أن العقل هو وسيلة لمعرفة طرق هذا التسخير والاستثمار وذلك لقوله تبارك وتعالى: ﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ **[الجاثية: 13]**[2].

ويتضح من خلال هذا المبحث أن التوحيد في فكر محمد المبارك ليس مجرد معتقد نظري بل هو الأساس الذي تبنى عليه نظرة الإنسان إلى الكون والحياة؛ فالتوحيد يحدد علاقة الإنسان بخالقه وبنفسه وبالعالم من حوله. وقد بين محمد المبارك أن عقيدة التوحيد تؤثر في السلوك الإنساني بل تعد مصدرا للقيم الأخلاقية والمبادئ الاجتماعية، لذلك فإن التوحيد هو الذي يشكّل جوهر الرؤية الكونية في فكر محمد المبارك ويوجّه الإنسان نحو فهم أعمق للوجود قائم على الإيمان والمسؤولية ويترتب عن هذه المسؤولية جزاء دنيوي وأخروي.

1-المرجع نفسه، ص 128

2- محمد المبارك، الإسلام والفكر العلمي، ط1، بيروت، دار الفكر، سنة 1338هـ-1339م، ص39

المبحث الثاني: الإنسان والكون في رؤية محمد المبارك

المطلب الأول: الإنسان ومكانته واستخلافه في الكون عند محمد المبارك

الفرع الأول: مفهوم الاستخلاف عند محمد المبارك

الفرع الثاني: العلاقة بين الإنسان والتكليف الإلهي

المطلب الثاني: علاقة الإنسان بالله تعالى

الفرع الأول: مضمون الصلة بين الإنسان والله

الفرع الثاني: الإيمان بالله منطلق الحرية والمسؤولية

المطلب الثالث: الكون وقوانينه في رؤية محمد المبارك

الفرع الأول: صفات الكون من خلال القرآن الكريم

الفرع الثاني: مفهوم قانون السببية في الفكر الإسلامي

المطلب الرابع: عبودية الإنسان و عمارة الأرض عند محمد المبارك

الفرع الأول: تحقيق العبودية عند محمد المبارك

الفرع الثاني: إعمار الأرض عند محمد المبارك

حين نتأمل في الرؤية الكونية التوحيدية التي قدمها محمد المبارك نلاحظ أنه يولي اهتماما كبيرا لموضوعي الإنسان والكون ويعتبرهما عنصرين أساسين لفهم الوجود ومعنى الحياة وهو ما سنتناوله في هذا المبحث.

المطلب الأول: الإنسان ومكانته واستخلافه في الكون عند محمد المبارك

إنّ الإنسان في الرؤية الكونية للشيخ محمد المبارك يشكل عنصرا مهما فيها فالكون لم يخلق عبثا بل للإنسان فيه رسالة عظيمة تتمثل في عبادة الله وتحقيق الاستخلاف ويرى الأستاذ أن مكانة الإنسان لا تأتي من فراغ بل هي نتيجة علاقته المباشرة بالله وتحمله لمسؤولية إعمار الأرض وفق ما أمر به الخالق، لذلك فإن إدراك الإنسان لدوره ومكانته فالكون يعتبر أمرا أساسيا لفهم التصور الشامل الذي يطرحه الأستاذ في رؤيته الكونية. وسنحاول تسليط الضوء على مفهوم الاستخلاف كما عرضه محمد المبارك ثم ننتقل إلى البحث عن علاقة الإنسان بالكون والمخلوقات الأخرى لنبرز مكانته ودوره في هذا الوجود.

الفرع الأول: مفهوم الاستخلاف عند محمد المبارك

ينظر محمد المبارك للإنسان على أنه أحد المخلوقات التي أوجدها الله ضمن هذا الكون العظيم وجعله خليفة في الأرض يسكنها ويتفاعل مع عناصرها ويشارك كثيرا من مخلوقاتها في صفاتها غير أنه يتميز عنها بصفات وخصائص تجعله مؤهلا للدور الذي كلف به، فالإنسان خلق من تراب ويتشارك مع الأرض في أصل الخلقة والتركيب كما يدل على ذلك قول الله **تعالى: ﴿ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنۡ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٞ تَنتَشِرُونَ 20﴾ [الروم: 20]**فالعناصر التي تكون جسم الإنسان مأخوذة من عناصر الأرض نفسها مما يؤكد هذا الارتباط العميق بين الإنسان والبيئة التي يعيش فيها ولا يقف هذا الاشتراك عند المادة فقط بل يمتد إلى النبات إذ ينموا الإنسانويتغذى من النبات ويتشارك معه في العديد من المكونات الحيوية كما في قوله تعالى: **﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ نَبَاتٗا﴾ [نوح**: 17][1]وهذا التشبيه يبرز العلاقة بين الإنسان والنبات إذ أن كلاهما ينشأ من الأرض ويعتمد في بقائه عليها مما يجعل التراب مصدرا مشتركا للحياة كما أن الإنسان يشترك مع الحيوان في بعض الصفات الغريزية غير أن الله سبحانه وتعالى:

1-محمد المبارك، نظام الإسلام العقيدة والعبادة، ط1، ص58

ميزه بجسد مستقيم وخلق متوازن يدل على تكريمه وذلك في قوله تعالى: ﴿**ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ**﴾ **[الانفطار: 7]**أيجعلك في أحسن تقويم من حيث الخلقة والهيئة، لكن ما يجعل الإنسان مميزا ليس فقط تكوينه الجسدي بل في ما وهبه الله له من عقل راجح ونفحة روحية عالية وبناء على ذلك فإن اجتماع العقل والروح يجعل الإنسان محلا للتكليف الإلهي الذي جعل حياته اختبارا وابتلاء يمتحن فيه من قدرات وطاقات إنما وضع في ميزان المسؤولية ليكون جديرا بالاستخلاف في الأرض وفق ما يرضي الله تعالى.

"ومفهوم الاستخلاف عند محمد المبارك يعني " أن الله عهد إلى الإنسان وأوكل اليه عمارة هذه الأرض ومكنه من استثمارها والانتفاع بها والتفكر في حوادثها وآياتها وسننها وأسرارها"[1]، لقوله تبارك وتعالى: ﴿ وَٱلۡأَنۡعَٰمَ خَلَقَهَاۚ لَكُمۡ فِيهَا دِفۡءٞ وَمَنَٰفِعُ وَمِنۡهَا تَأۡكُلُونَ ٥ وَلَكُمۡ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسۡرَحُونَ ٦ ﴾ [النحل: 5-6]

ويأتي مصطلح التسخير ليبيّن أن هذا الكون مهيأ لخدمة الإنسان و"لمنفعته ولقد ابتدعه سبحانه على نظام يساعد هذا النوع الإنساني على استبقاء حياته على ظهر الأرض ولقد أوضح الله سبحانه وتعالى: هذا التسخير في آيات كثيرة من القرآن الكريم حتى أنه لايذكر جزءا من أجزاء هذا الكون إلا مشيرا إلى ما فيه من منفعته لهذا الإنسان "[2]. فالإنسان هو سيد هذه الأرض وقد استمد هذه السيادة من ربه الذي كرمه وفضله إذ لايليق بهذه السيادة غيره وقد منحه الله من المؤهلات ما يعينه على تحمل هذه المكانة وعلى رأس تلك المؤهلات العقل الذي يعد السمة الفارقة بينه وبين سائر المخلوقات على هذه الأرض لقوله تبارك وتعالى: : ﴿**وَٱللَّهُ أَخۡرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ**﴾ **[النحل: 78]** ومن هنا نعلم أن الإنسان الذي يهمل عقله فلا يفكر به ولا يستعمله بل يحجبه عن التفكير ليس بجدير لأن ينال شرف الاستخلاف لأنه انحدر إلى مستوي البهائم التي لا تملك نظير هذه القوة "قال الله تعالى:

1-المرجع نفسه، ص 59-63

2- مصطفي الخن، مبادئ العقيدة الإسلامية، ط9، دمشق، (د، ن)، سنة 1416-1417هـ/1996-1997م، ص178.

﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا ۚ أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴾ **[الأعراف: 179]**[1]

الفرع الثاني: العلاقة بين الإنسان والتكليف الإلهي:

إن صلة الله تعالى: بالكون تظهر في خلقه وتدبيره له ومن هذه الصلة تنبثق علاقة الإنسان بالتكليف الإلهي باعتباره مخلوقا مكرما جعله جزءا من هذا الكون ومسؤولا فيه، ولا شك أن الإنسان جزءا من هذا الكون الواسع لكنه يتميز بمكانة خاصة منحة الله له بما أودعه فيه من حواس نامية روح قابلة للارتقاء والتكامل، الأمر الذي جعله مؤهلا للتكليف والاستخلاف وقد أبرز القرآن الكريم هذا التميز من خلال إشارات متكررة إلى المنافع التي سخرت له في الكون فلا يذكر عنصر من عناصر الطبيعة إلا ويربطه بوجه من وجوه الانتفاع الإنساني كما في قوله تعالى: : **﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾** [الجاثية: 13] وهذه النظرة القرآنية دفعت الإنسان إلى استثمار ما في الكون وتسخيره ضمن حدود المشروع فاعتبر ما حوله من المخلوقات نعما إلاهية ينبغي شكرها وحسن توظيفها وقد كان لهذا الفهم أثر بالغ في بناء الحضارة الإسلامية أولا ثم في إسهام في مسيرة الحضارة الإنسانية عموما.[2]

المطلب الثاني: علاقة الإنسان بالله تعالى

خلق الله تعالى أنواعا شتي من المخلوقات وجميعها خاضعة لإرادته ومشيئته غير أن مظاهر خضوعها تختلف باختلاف طبيعة كل كائن فمنها من يطيع الله طاعة تلقائية لا إرادة له ولا اختيار كالكائنات الجامدة والنجوم التي تسير وفق السنن الإلهية والخطط المقدرة لها وهو ما يعرف بقوانين الطبيعة ومنها ما يخضع لله بالغريزة كالحيوان ومنها كذلك ما خلق على الطاعة المطلقة كحال الملائكة الذين قال الله فيهم **﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم: 6]**أما الإنسان فقد تميز بطبيعة خاصة إذ يخضع من جهة لسنن كونية لا يملك تجاوزها، كقوانين الجسم المتعلقة بالهضم والدورة

1-مصطفي الخن، مبادئ العقيدة الإسلامية، ص178.

2-محمد المبارك، نظام الإسلام العقيدة والعبادة، ط1، ص 63-66

الدموية ودرجة الحرارة وغيرها ومن جهة أخري منح القدرة على الإرادة الحرة والاختيار دون إكراه أو إجبار كما قال الله تعالى: ﴿ إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴾ **[الإنسان: 3]**[1].

الفرع الأول: مضمون الصلة بين الإنسان والله

اقتضت إرادة اللهﷻحين شاء إيجاد هذا الكون بما اشتمل عليه من أنواع وأجناس متعددة أن تختار حكمته البالغة نوعا مخصوصا من الموجودات وهو الإنسان فيجعله خليفة في الأرض مسخرا له سائر الكائنات لخدمته وتحقيق مصالحه وقد عهد إليه بمهمة عمارتها وتنظيم شؤونها تحقيقا لدوره في الخلافة التي ينص عليها قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ **[البقرة: 30]** وفي قوله تعالى: ﴿ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴾ [هود: 61] [2]وقد تطرق الأستاذ محمد المبارك إلى موضوع الصلة بين الإنسان والله ووصفها بأنها " هي نهاية جميع الصلات والغاية التي ترتقي اليها فهي أعلى منها جميعا"[3]ولهذه الصلة جوانب متعددة نذكر منها الاعتراف بعظيم قدرة الله وعظيم سلطانه وقوته والاعتراف بنعم الله والشعور بالمسؤولية أمام الله خالقه ويبين الأستاذ أن عبادة الدعاء من أهم العبادات التي تظهر هذه الصلة حيث يظهر اختصاص الله بالعبادة فيها دون غيره لقوله تعالى: : ﴿وَسْـَٔلُواْ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ ﴾ [النساء: 32]وتتميز الصلة بالله بكونها صلة فريدة لا يماثلها أي نوع أخر من الصلات إذ أنها تقوم على أساس العبودية الخالصة لله تعالى: بخلاف الصلات الأخرى التي تربط الإنسان بغيره فصلة الإنسان بالأنبياء عليهم الصلاة والسلام على سبيل المثال هي صلة اهتداء بهديهم واقتداء بسيرتهم والامتثال لما جاءوا به من تعاليم مع الإيمان بأنهم رغم مقامهم الرفيع عباد لله سبحانه فقد وصف المسيح عليه الصلاة والسلام في القرآن الكريم بأنه عبد لله لقوله تعالى: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَٰهُ مَثَلًا لِّبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾ **[الزخرف: 59]**وكذلك وصف خاتم النبيين محمد

1-محمد المبارك، نظام الإسلام العقيدة والعبادة، ط1، ص 81-82

2- محمد سعيد رمضان البوطي، كبرى اليقينيات الكونية، ط8، دمشق، دار الفكر، 1417هـ/1997م، ص 64

3 -محمد المبارك، نظام الإسلام العقيدة والعبادة، ط1، ص 72

صلى الله عليه وسلم بقوله: ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا ۚ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ **[الإسراء: 1]**[1].وإضافة إلى ما ذكرناه يبين الأستاذ صفات صلة الإنسان بالله في نقطتين أساسيين.

1-**صلة قابلة للنماء والزيادة:** هذه الصلة قد تكون سطحية ضعيفة الأثر سريعة النسيان كما يمكن أن تكون قوية شديدة في النفس متغلغلة في أعماقها "كالعرق الذي ينبض الدم الذي يجري في كيان الإنسان " [2] واتصاف هذه الصلة بالنمو والزيادة من جانب الإنسان ظاهر في كثير من نصوص القرآن الكريم لقوله تبارك تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ**﴾ [البقرة: 165]ويمكن أن تكون هذه الصلة من جهة النقص سلبية في حال إنكار الإنسان لخالقه وجحوده لنعمه وولوج المعاصي والآثام والتخلي عن القيام بالمسؤوليات فالذي ينمي هذه العلاقة ويقويها هو وعي الإنسان بحقيقة مهمته الاستخلافية وإتباع رسل الله صلى الله عليهم وسلم.

2-**صلة متبادلة بين العبد وربه:**وذكر الأستاذ أن المعاني التي يحس بها العبد اتجاه ربه متبادلة متقابلة وذلك فضل من الله وتكريم للإنسان وتشريف له لقوله تعالى: ﴿ **فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ** ﴾ **[البقرة: 152]** وليس في الوجود شعورا أجمل من شعور الإنسان أن الله خالق الكون كله يبادله حبا بحب وذكرا بذكر ورضى برضى.[3]

الفرع الثاني: الإيمان بالله منطلق الحرية والمسؤولية

يعد الإيمان بالله في التصور الإسلامي أساسا وجوديا تتفرع عنه مختلف القيم والمفاهيم ومن أبرزها الحرية والمسؤولية وقد سعي محمد المبارك إلى إبراز العلاقة العميقة بين التوحيد والحرية مبينا أن الإيمان الصحيح لا يلغي حرية الإنسان بل يؤسسها ويجعلها مشروطة بمسؤوليته الأخلاقية والتكليفية أمام

1 -حمد المبارك، نظام الإسلام العقيدة والعبادة، ط1، ص 67-80.

2-المرجع نفسه، ص 81.

3-المرجع نفسه، ص 82.

الله. إن هذا الكون بكامل نظامه والإنسان جزء لا يتجزأ منه خاضع لإرادة الله ومشيئته حتي إرادته الحرة نفسها واقعة ضمن هذه المشيئة الإلهية، فقد وجد الإنسان بإرادة الله وبها قدرت خططه وسننه وقوانينه ولهذا كان الله سبحانه وتعالى: عالما بما سيقع من أحداث قبل وقوعها وتعد أفعال الإنسان الإرادية محاطة بسلاسل من القيود الخارجة عن إرادته كفعله للكتابة أو القتل أو الصيد فهي وإن كانت تنسب إليه إلا أنها نسبة كسب لا نسبة خلق لأن إرادته الحرة نفسها مخلوقة للهﷻ ومن هنا يتبين الخطأ في القول بأن الإنسان يخلق أفعاله لأن الخلق هو الإيجاد من العدم وهذا لا يكون إلا لله، وقد دل على شمول مشيئة الله لمشيئة الإنسان في قوله تبارك وتعالى: ﴿ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [التكوير: 29] غير أن الله مع ذلك فقد منح الإنسان إرادة حرة يمارس بها أفعاله من مشيئة وإرادة وعمل وصنع وكسب لقوله تبارك وتعالى: ﴿وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ **[الجاثية: 22]**[1] وهكذا تكون الحرية في التصور الإسلامي وفق رؤية محمد المبارك مسؤولية وجودية وأخلاقية نابعة من الإيمان ولست مجرد تحرر مادي أو انفلات من القيود.

المطلب الثالث: الكون وقوانينه في رؤية محمد المبارك:

يعد القرآن الكريم المصدر الأساسي الذي تستمد منه الرؤية الكونية التوحيدية معالمها ومرتكزاتها حيث يقدم تصورا شاملا للكون بوصفه مخلقا لله وخاضعا لأمره ومسخرا لخدمة الإنسان في إطار عبوديته للخالق وقد اعتنى الدكتور محمد المبارك ببيان صفات لكون كما يصورها القرآن الكريم مبينا ما تتضمنه من دلالات تهدف إلى ترسيخ الإيمان وتعميق العلاقة بين الإنسان والكون والخالق.

الفرع الأول: صفات الكون من خلال القرآن الكريم:

1**–الشمول**:إن الكون المعروض في القرآن علم شامل فهو لا يقتصر على وصف منطقة معينة أو جزء معين من هذا الكون بل يشمل ما يبصره الإنسان ومالا يبصره وما خلق وما سيخلق

1-المرجع نفسه، ص 75-77

واستشهد الأستاذ بآيات عدة تشير إلى جانب العظمة في خلق هذا الكون وإبداعه منها قوله تعالى: ﴿ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ ﴾ **[الحجر: 19]**

وقوله كذلك : ﴿ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْ نَبَاتٍ شَتَّى ﴾ **[طه: 53]**[1].

2-الحركة: والكون كما يعرضه القرآن الكريم تجري على مسرحه حوادث وتغيير وتمييز وتنتقل حوادثه من طور إلى طور ﴿وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴾ **[الحج: 5]** وكذلك بيان لإنسان وأطوار خلقه في قوله تعالى: : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ﴿12﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ﴿13﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴾ **[المؤمنون: 12-14]**[2].

3-الانتظام:وحوادث الكون كما يشير القرآن الكريم مرتبط بعضها ببعض ما بين سابق ولاحق بانتظام وإطراد يدل على أنها تتبع سنن مطردة في حدوثها وحركتها لقوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ ﴾ **[المؤمنون: 18]**

وكذلك يبين الأستاذ محمد المبارك رحمه الله أن القرآن الكريم ينبهنا إلى ما في هذه السنن المطردة من حوادث الكون والقوانين المنتظمة في الطبيعة من صفات كيفية كاختلاف الألوان والأشكال لقوله تبارك وتعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴾ **[فاطر: 27]**[3]

1-محمد المبارك، نظام الإسلام العقيدة والعبادة، ط2، ص 28

2-المرجع نفسه، ص 30

3-محمد المبارك، نظام الإسلام العقيدة والعبادة، ط2، ص 31

4-الكمية: كما أشار الأستاذ إلى ما في الكون كذلك من صفة الكمية وقابلية العدد والإحصاء والحساب لقوله تعالى: ﴿**وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ**﴾ **[الرعد:8]** فان خلافة الإنسان في الأرض تجلت في قدرته على عمارتها والانتفاع بما أودع فيها إضافة إلى قدرته على التأمل والتفكر في هذه الخلافة وقد وهبه الله صفات تؤهله لذلك من أبرزها: القوة سواء كانت جسدية أو فكرية والعقل والعلم إلى جانب الحياة والإرادة وهذه الإرادة تتميز بكونها إرادة حرة مختارة وبالمقابل حمله الله مسؤولية هذا الدور وجعله مكلفا ورتب على هذا التكليف جزاء يتناسب معه.[1]

5-**التصنيف**:عرض القرآن الكريم إلى ما في الكون من أصناف وما في الطبيعة من أنواع لقوله تعالى: ﴿**وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍۖ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ بَطْنِهِۦ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰٓ أَرْبَعٍۚ يَخْلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ**﴾ **[النور: 45]** وهذا الكون كله الذي وصفه وعرضه القرآن الكريم بأفاقه الواسعة وأنواعه الكثيرة وأقسامه المتعددة وحركته الدائبة وحوادثه المتكررة بانتظامه وسننه المطردة هو عالم الشهادة الذي شهده الإنسان فيدركه بحواسه وبعقله وتفكيره ويستثمره لمنافعه وأعظم من ذلك كله يجعل هذا الكون منطلقا وطريقا للوصول إلى الله خالقه ومقدر سننه.[2]

الفرع الثاني: مفهوم قانون السببية في الفكر الإسلامي

إن مفهوم الإسلام لقانون السببية هو جزء من مفهومه لله والكون ويؤكد محمد المبارك في طرحه في هذا السياق أن الله تعالى: هو الذي وضع سنن الكون وخلقها وهو الذي يدبر مجريات الأمور وفق تقديره وبذلك لا تكون العلاقة بين السبب والمسبب ذاتية أو نابعة من داخل الحوادث لأن الحوادث بحد ذاتها لا تملك القدرة على الإيجاد أو التأثير فالسبب لا ينتج المسبب في قوته الذاتية بل إن هذه العلاقة ترجع إلى إرادة الله وتقديره حيث خلق الله هذا الربط بين الأسباب والمسببات في

1-المرجع نفسه، ص 43

2- المرجع نفسه، ص 44

أصل الخلق فجعل لكل شيء سببا وفق نظام دقيق أراده سبحانه، [1]وقد اختلفت أراء الناس حول قانون السببية وتفسيرهم لطبيعة العلاقة بين الأسباب والنتائج فيعضهم يرى أن القول بتأثير السبب في المسبب فيه المساس بالإيمان بإرادة الله المطلقة وكأن في ذلك مشاركة لله في فعله لهذا أنكروا وجود السببية واعتبروا أن كل حادثة مرتبطة فقط بقدرة الله المباشرة، دون اعتبار لما تعارف عليه الناس من أسباب غير أن هذا الرأي إذا أخذ على إطلاقه يؤدي إلى إغلاق باب العلم ويمنع الإنسان من فهم السنن والقوانين التي وضعها الله في الكون في المقابل هناك من يرى أن العلاقة بين السبب والمسبب هي علاقة ضرورية أي أن السبب يؤثر في النتيجة تأثيرا حتميا حتي بدا وكأن السبب هو الخالق للنتيجة دون الالتفات إلى دور الإرادة الإلهية، أما الأستاذ المبارك يرى أن الله سبحانه هو الذي وضع سنن الكون وربط بين الأسباب ومسبباتها وهو المدبر لكل ما يجري فيه بحسب تقديره فالسبب لا يملك تأثيرا ذاتيا وإنما التأثير الحقيقي هو بتقدير الله وخلقه فالعلاقة بين السبب والمسبب ليست نابعة من ذات الحوادث، بل هي علاقة مقدرة من الله منذ أصل الخلق وهو وحده الذي أراد هذا الارتباط وسن قوانينه[2].

وسنعرض فيما يلي آراء لأبرز المفكرين المسلمين في هذه المسألة نذكر منهم:

رأي الغزالي(ت:505هـ): يقول في كتابه "تهافت الفلاسفة" تسمية الفاعل فاعلا إنما تعرف من اللغة وإلا فقد ظهر في العقل أن ما يكون سببا للشيء ينقسم إلى ما يكون مريدا والى مالا يكون ووقع النزاع في أن اسم الفاعل على كلا القسمين حقيقة أم لا ولا سبيل إلا إنكاره، إذ العرب تقول النار تحرق، والسيف يقطع، والثلج يبرد والسقمونيا تسهل، والخبز يشبع، والماء يروي وقولنا يضرب، معناه يفعل الضرب، وقولنا تحرق، معناه تفعل الإحراق وقولنا: يقطع معناه يفعل القطع، فإن قلتم إن كل ذلك مجاز، كنتم متحكمين فيه من غير مستند"[3].

ويفهم من موقف الغزالي أن السببية ترجع كل الأحداث في هذا الكون إلى الإرادة الإلهية وحدها دون أن يعترف بوجود علاقة بين الأسباب والنتائج ويعتبر هذا التصور تقليلا من شأن

1-محمد المبارك، الإسلام والفكر العلمي، ط 1، بيروت، دار الفكر، 1398هـ/1978م، ص 55-56

2-المرجع نفسه، ص 59

3- الإمام الغزالي، تهافت الفلاسفة، تحقيق الدكتور سليمان دنيا، ط8، القاهرة، دار المعارف، سنة 1119، ص137

العقل الذي تتمثل وظيفته الأساسية في إدراك العلاقات بين الظواهر وفهم القوانين التي تحكمها، كما أن إنكار السببية يفتح مجال الفوضى المعرفية لأن العلم في جوهره قائم على مبدأ الترابط بين الأحداث، فالله تعالى خلق الكون بنظام دقيق وسن فيه قوانين ثابته بها تنتظم الحياة وتفهم الظواهر وهذا لا ينقص من قدرته بل يبرز حكمته فهو يقول " لامجال هنا للتكلم عن ضرورة عقلية أو طبيعية لقانون السببية، فالله وحده هو الذي يجري الحوادث بإرادته وإن شاء يقلب الموازين والقوانين ففي قدرته أن يخلق شبعا من غير أكل وربما من غير شرب وشفاء من غير دواء ولا توجد ضرورة عقلية على وجود علاقة حتمية بين السبب والمسبب وإنما اعتيادنا مشاهدة التعاقب بين الحادثتين بانتظام هو الذي جعلنا ندعي أن الحادثة الأولى علة الحادثة الثانية"[1].

رأي ابن رشد(ت:595هـ): "ويبين لنا ابن رشد أن التأكيد على العلاقة الضرورية بين الأسباب ومسبباتها يؤدى إلى القول بالحكمة والغائية بالنسبة للموجودات فالحكمة هي معرفة الأسباب التي تقوم على منطق العقل بحيث لو ارتفعت الضرورة عن كميات الأشياء المصنوعة وكيفياتها وموادها لارتفعت الحكمة الموجودة في الصانع وفي المخلوقات وكان يمكن أن يكون كل فاعل صانعا وكل مؤثر في الموجودات خالقا وهذا عند ابن رشد إبطال للخلق والحكمة، وبهذا ينتهي ابن رشد إلى أنه من الضروري الاعتقاد بوجود حكمة وغائية تسير بمقتضاها أفعال الموجودات في هذا الكون كله سمائه وأرضه"[2].وقد رد ابن رشد في كتابه "تهافت التهافت" موقف الغزالي معتبرا إنكاره لقانون السببية يجعل من المستحيل بناء أي معرفة يقينية عن العالم وأكد أن العلاقة بين السبب والمسبب ليست مجرد عادة بل ضرورة عقلية يدركها الإنسان عن طريق التجربة.

أمّا الأستاذ المبارك فيرى أن الله سبحانه هو الذي وضع سنن الكون وربط بين الأسباب ومسبباتها وهو المدبر لكل ما يجري فيه بحسب تقديره، فالسبب لا يملك تأثيرا ذاتيا وإنما التأثير

1-بن الشيخ حليمة، بن عثمان سليمة، مشكلة السببية عند أبي حامد الغزالي، مذكرة ماستر في الفلسفة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم علم النفس والفلسفة، جامعة زيان عاشور، الجزائر الجلفة، سنة2020/2019، ص 48.

2- الدكتور جمال المرزوقي، دراسات في علم الكلام والفلسفة الإسلامية، ط1، القاهرة، (د، ن)، سنة 1421هـ/2001م، ص 175

الحقيقي هو بتقدير الله وخلقه؛ فالعلاقة بين السبب والمسبب ليست نابعة من ذات الحوادث، بل هي علاقة مقدّرة من الله منذ أصل الخلق وهو وحده الذي أراد هذا الارتباط وسن قوانينه[1].

المطلب الرابع: عبودية الإنسان و عمارة الأرض عند محمد المبارك:

الفرع الأول: تحقيق العبودية عند محمد المبارك:

تعدّ العبادة في الإسلام ركنا أساسيا لا غنى عنه في القيام النظام الإسلامي وحسن تطبيقه فهي التي تحيي العقيدة في النفس وتنقل التصور الإسلامي للوجود من دائرة الفكر النظري إلى وجدان القلب حيث يتحول إلى إحساس حي وشعور صادق وبهذا تصبح العقيدة قوة مؤثرة دافعة تنبع منها حرارة الإيمان ونور الإيمان، والإنسان الذي يدرك مكانته في هذا الوجود الواسع يعد أرقي أنواع البشر على الإطلاق فهو الأعمق نظرا بالحقيقة الكاملة والأشمل في فهمه لمختلف المخلوقات والأوسع إدراكا لدوائر الوجود المتنوعة[2].

فالعبادة هي الوسيلة التي تولد في الإنسان هذا الوعي العميق فهي وحدها الكفيلة بإيقاظ هذا الإحساس لأنها تربطه بالله ربطا يتجاوز كل الروابط الأخرى كارتباطه بأهله وأولاده ومجتمعه وقومه وحتي بنى جنسه لتقوده في النهاية المطاف إلى إسمي الروابط وأشملها وهي صلته بالله الخالق والمدبر لأمره كله قال الله تعالى: ﴿**ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ**﴾ **[الأعلى: 2-3]** [3]، وفي إطار رؤيته الكونية التوحيدية يؤكد محمد المبارك أن من أعظم مقاصد العبادة في الإسلام ترقية الجانب الروحي للإنسان باعتباره أحد الأبعاد الأساسية في كيانه إلى جانب الجسد والعقل فالرؤية التوحيدية لا تفصل الإنسان عن خالقه بل تجعله دائم الصلة به، مستشعرا مسؤوليته وعبوديته في كل جوانب الحياة وإذا انشغل الإنسان بالجوانب المادية فقط فان ذلك لا يميزه عن الحيوان بل قد تكون الحيوانات أقدر منه جسديا وحتى لو نمى عقله بالعلوم والمعارف فقد يظل منحطا في أخلاقه واتجاهاته وهو ما نراه بوضوح في الحضارة الغربية المعاصرة التي تعنى بتقوية

---

[1] محمد المبارك، الإسلام والفكر العلمي، ص 59.

2-محمد المبارك، نظام الإسلام العقيدة والعبادة، ط2، ص 174

3-المرجع نفسه، ص 175

العقل والجسد ولكنها تهمل الجانب الروحي فتنتج نماذج بشرية تفتقر إلى الرحمة والإحسان والايثار أما الإسلام كما يقدمه الأستاذ المبارك فيعتبر أن الحياة صراعا دائم بين الحق والباطل إذ تذكر الإنسان بمسؤوليته أمام خالقه وبمصيره في الأخرة مما يدفعه إلى تزكية نفسه وتحقيق معاني الخير والرحمة في حياته وسلوكه[1].

الفرع الثاني: إعمار الأرض عند محمد المبارك:

عند التأمل في إعمار الأرض والمراحل التي مر بها الكون تتجلى عظمة خلق الله ويتضح مدي امتداد الزمن الذي شهده هذا العالم ومن هذا المنطلق يربط محمد البارك بين هذا التأمل العميق ومفهوم العبودية لله حيث يرى أن الإنسان لا ينبغي له أن يقتصر على مجرد المعرفة النظرية بل عليه أن يعيش هذه المعرفة واقعا يوميا ملموسا في حياته ومن هنا تنشأ مسؤولية الإنسان اتجاه خالقه وهي مسؤولية مضاعفة فهو مسؤول من جهة علاقته بالله ومسؤول من جهة حياته على الأرض بما فيها من ارتباطات أسرية واجتماعية وقد نظم الإسلام هذه المسؤولية الدنيوية بشكل دقيق فحمل الإنسان تكاليف شرعية تتعلق بنفسه وأسرته وكل من يتعامل معهم سواء أكان حاكما أو راعيا أو فردا من عامة المجتمع[2] لقوله تبارك وتعالى: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ **[الأحزاب: 72]** والمسؤولية الأخروية العظمي تكون بين العبد وربه فالله تعالى: هو وحده من يحاسب على الأعمال وهو الذي يفصل فيها واليه وحده المرجع والمصير فله وحده تكون العبادة وفي سبيل مرضاته تكون الأعمال وهو وحده من يتولى حسابها لقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾ **[الأنعام: 164]** وبناء على ذلك يرسخ في الوعي الإنساني أن اعمار الأرض لا ينفصل عن معني العبودية.

1- المرجع نفسه، ص 176-178

2-المرجع نفسه، ص 134

ونستخلص في نهاية هذا المبحث أن الإنسان في الرؤية الكونية للشيخ محمد المبارك يشكل عنصرا أساسيا ومحوريا إذ لم يخلق عبثا أو بلا هدف بل خلق لغاية عظيمة تتمثل في عبادة الله والاقتداء بأوامره واجتناب نواهيه والسير على منهجه في القول والعمل تحقيقا لرسالته في هذا الوجود، وقد جعله الله خليفة في الأرض فحمّله مسؤولية الإعمار والإصلاح وميزه بالعقل والإرادة ليحسن الاختيار ويتحمل مسؤولية أفعاله بوعي وإدراك.

المبحث الثالث:

خصائص الرؤية الكونية عند محمد المبارك (القيم والأخلاق نموذجا)

المطلب الأول: نقد محمد المبارك للفكر المنحرف وتداعياته على القيم الأخلاقية

الفرع الأول: الفهم الإسلامي المنحرف وتداعياته الأخلاقية

الفرع الثاني: الأساس الفكري للتصورات الغربية وتأثيرها على الأخلاق

المطلب الثاني: القيم الأخلاقية في الإسلام

الفرع الأول: الأساس العقائدي والتوحيدي للقيم الأخلاقية في الإسلام

الفرع الثاني: موقف محمد المبارك من إعلاء العقل وإغفال القيم الروحية

المطلب الأول: القيم الأخلاقية في الإسلام:

يولي الإسلام القيم الأخلاقية عناية كبيرة لما لها من دور فعال في تهذيب السلوك الإنساني وضبط العلاقات داخل المجتمع وقد جاءت هذه القيم مرتبطة بالعقيدة الإسلامية ومتصلة اتصالا وثيقا بالإيمان فلا تنفصل عنه بل تعد جزءا لا يتجزأ من الدين ومن هذا المنطلق سنتناول في هذا المطلب القيم الأخلاقية في الإسلام من خلال التعرف على الأسس التي تقوم عليها ثم بيان موقف محمد المبارك من إعلاء العقل وإغفال القيم الأخلاقية الروحية.

الفرع الأول: الأساس العقائدي والتوحيدي للقيم الأخلاقية في الإسلام:

يبين محمد المبارك أن القيم في الإسلام لا يمكن فهمها بعيدا عن العقيدة وخصوصا عن التوحيد ذلك أن الإيمان بالله هو الأساس الذي تبني عليه كل القيم لأن الكون لم يوجد عبثا بل خلقه الله تعالى: بحكمه ونظمه بطريقة دقيقة، والإنسان في هذا الكون له دور مهم فقد جعله الله خلفية في الأرض ووهبه الكثير من النعم ولكنه في نفس الوقت مسؤول ومحاسب عن أفعاله [1] لقوله تبارك وتعالى: ﴿ **يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ** ﴾ [الحاقة: 18] ومن هنا تنشأ القيم الإسلامية فهي ليست منفصلة عن الإيمان بل مرتبطة به ارتباطا وثيقا فالإسلام لا يفصل بين العبادة والعمل بل يجعلهما جزءا من حياة الإنسان لمؤمن، وحتي الأخلاق فهي لا تأتي من العادات أو المجتمعات وإنما تنبع من العقيدة نفسها لأنها تضبط غرائز الإنسان وتوجهه نحو الاعتدال والتوازن ليعيش في انسجام بين حاجاته الجسدية وروحيه.[2]

1-محمد المبارك، الفكر الإسلامي في مواجهة الأفكار الغربية، ص 62

2- المرجع نفسه، 73

الفرع الثاني: موقف محمد المبارك من إعلاء العقل وإغفال القيم الروحية

يبين محمد المبارك أن المجتمع الإسلامي رغم اختلاف شعوبه وأقطاره يجتمع على معايير أخلاقية موحده على تقويم الأفعال فيفرق بوضوح بين الخير والشر والفضيلة والرذيلة، وفي هذا السياق ينبه إلى خطورة تأثر بعض الفئات بالقيم الغربية التي تعلى من شأن العقل المادي على حساب القيم الأخلاقية حيث أصبح النظر إلى الأعمال محصورا على نفعها العقلي أو المادي دون الاعتبار لما تحمله من بعد أخلاقي فالخمر والزنا والغش والرباء...كلها شرور في المنظور الأخلاقي الإسلامي بينما الزكاة ومساعدة المحتاج والعمل النافع تعد من أسمي الفضائل ويتضح من هذا السياق أن المجتمع الغربي يقيم الأخلاق بناء على المنفعة الشخصية أو المصلحة الفردية مما يجعلها نسبية ومتغيرة حسب الظروف.[1]

وفي ظل التقدم العلمي والفكري الذي شهده العصر الحديث مع تطور العقل البشري وتقدمه في اكتشاف آفاق الكون قطع الإنسان أشواطا كبيرة في مختلف مجالات المعرفة لكن هذا التقدم صاحبه نوع من الغرور العقلي فبعد أن عانى العقل من التقييد والكبت في العصور الوسطي أدى إلى تقديسه وتأليهه على حساب القيم الأخلاقية والروحية[2]. ومن هنا تبرز أهمية العقيدة الإسلامية فهي لا تقتصر على الجانب الإيماني فحسب بل تحث على القيم الأخلاقية التي تدفع الإنسان للجهاد في سبيل نصرة الحق وإقامة العدل ورفع الظلم عن المظلومين والاستعداد لهذا الجهاد كما أمر الله تعالى.

وعلى أساس أن هذا الاتجاه الفكري الذي يعلي من شأن العقل معتبرا إياه المصدر الوحيد للمعرفة والهداية مُقْصِيًا في الوقت نفسه القيم الروحية والأخلاقية والذي تسلل إلى العقل المسلم فقد انتقد محمد المبارك هذا التوجه مؤكدا أن الرؤية الكونية التوحيدية في الإسلام تعتمد على التوازن بين العقل والإيمان وأن القيم الأخلاقية هي لب بناء الإنسان ولا يمكن إغفالها مهما تقدم العقل.

ونستخلص في نهاية هذا المبحث أن القيم والأخلاق في الرؤية الكونية عند محمد المبارك تنطلق من الإيمان بالله وتوحيده، حيث انتقد الفهم الإسلامي المنحرف الذي أضعف البعد الأخلاقي في حياة المسلمين، كما بين أثر التصورات الغربية التي فصلت بين الدين والأخلاق وأعلت من شأن العقل والمصلحة، وبين أن هذا التوجه أضعف القيم الروحية. ومن هذا المنطلق دعا إلى التوحيد

1-محمد المبارك وآخرون، الثقافة الإسلامية، ص 89، بتصرف.

2 -محمد المبارك، الفكر الإسلامي في مواجهة الأفكار الغربية، ص 42

كمصدر أساسي للقيم لأنه يوجه سلوك الإنسان ويربطه بربه ويجعله يعيش حياته بوعي مسؤولية نابعة من إيمان صادق.

المطلب الثاني: نقد محمد المبارك للفكر المنحرف وتداعياته على القيم الأخلاقية

يعتبر محمد المبارك من المفكرين الذين وقفوا موقفا نقديا من الفكر المنحرف سواء كان بسبب الجهل في الفهم والتخلف الذي لحق المسلمين أو بسبب الفكر الغربي الحديث خاصة فيما يتعلق بتأثيره في المنظومة الأخلاقية. فهو يرى أن هذا الفكر المنحرف، سواء بقراءته المعوّجة والسقيمة للوحي خاصة بالنسبة للمسلمين أو بانفصاله تماماً عن الوحي كما هو الحال بالنسبة للفكر الغربي، يكون قد فقد الأساس الذي تبني عليه القيم الأخلاقية مما أدى إلى اضطراب واضح في السلوك الإنساني. وبناء على ذلك سنحاول في هذا المطلب الأول إبراز نقد الأستاذ محمد المبارك للفهم الإسلامي المنحرف لبعض مسائل العقيدة وتداعياته الأخلاقية، ثمّ نتطرق إلى أهم ملمح نقدي له للأساس الفكري التي قامت عليها التصورات الغربية وأثرها في الأخلاق.

الفرع الأول: الفهم الإسلامي المنحرف وتداعياته الأخلاقية:

يرى محمد المبارك أن من أبرز المشكلات الأخلاقية التي يعاني منها واقع المسلمين اليوم هو الفهم الخاطئ لبعض العقائد الأساسية نذكر منها:

تعطيل الأخذ بالأسباب: يقول محمد المبارك أن الوقوف موقف الاستسلام وعدم الحركة أمام طوارئ الحياة من مرض أو فقر أو استيلاء عدو ناشئ عن تشويه وسوء فهم العقيدة الإسلامية. فقد بين أن المفهوم الخاطئ لدى بعض العلماء المسلمين خاصة في عصر الانحطاط لفكرة ربط الأسباب بالنتائج والتهوين من شأنها أدى إلى تعطيل التفكر وربط الأسباب بالمسببات في العقل المسلم[1]، كما وأوضح أن هذه الفكرة خاطئة ومخالفة للقرآن الكريم والسنة النبوية فما أكثر ما قرن الله تعالى في

1-محمد المبارك وآخرون، الثقافة الإسلامية، تحقيق، محمد إ براهيم علي وحسين حامد حسان، ط19، مركز النشر العلمي، 1423هـ/2003م، ص 105

القرآن النتائج بمقدماتها كنمو النبات بعد نزول المطر وسوق الرياح للسحب ونزول الماء منها قوله تبارك وتعالى: ﴿ وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَٰلِكَ النُّشُورُ ﴾ **[فاطر: 9]**[1].

سوء فهم عقيدة القضاء والقدر: بين الأستاذ محمد المبارك أن في العصور الأخيرة أساء المسلمون فهم عقيدة القضاء والقدر حيث ذكر أن الكثيرين ظنوا أن ذلك يعني الاستسلام للواقع باعتباره نتيجة تقدير الله السابق وقضاءه النافذ وفق إرادته وقد أدى هذا الفهم إلى العديد من النتائج السلبية منها ترك الكسب والارتزاق وأوضح الأستاذ أن القرآن الكريم ينفي هذا الفهم حيث دعا إلى قتال الكفار والمشركين ولا سيما إذا كانوا معتدين ومهاجمين وحث على مقاومة الظلم والظالمين معتبرا السكوت عن الظلم إثما [2]لقوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَٰئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾ **[النساء: 97]**

1- **سوء فهم الزهد والتوكل:** وقد أشار الأستاذ المبارك إلى أن من أبرز صور التحريف التي لحقت بتعاليم الإسلام ما وقع في مفهوم التوكل حيث فهمه بعض المتأخرين على أنه ترك للأسباب وامتناع عن السعي للوصول إلى الغاية أو الهدف كالنصر على الأعداء وحصول الرزق ولوكان هذا الفهم صحيح لكان أولى الناس بتطبيقه سيد المتوكلين هو رسول الله صلى الله عليه وسلم[3].

إن هذا المفهوم المشوه للتوكل أضيف إليه مفهوم مشوه آخر لزهد فظهرت دعوة دخيلة إلى ترك الدنيا والانصراف إلى العبادة بمعناها الضيق والحقيقة أن الإسلام يدعو إلى مفهوم معين من زهد وهو إيثار الآخرة على الدنيا والعمل في هذه الدنيا على أساس أن الحياة الآخرة هي الغاية وأن الدنيا وما فيها لا يقصد لذاتها إنما هي وسيلة إلى الأخرة[4].

1-محمد المبارك وآخرون، الثقافة الإسلامية، ص 105

2- المرجع نفسه، ص 106

3- المرجع نفسه، ص 107

4-المرجع نفسه، ص 108

الفرع الثاني: الأساس الفكري للتصورات الغربية وتأثيرها على الأخلاق:

لقد مر الفكر الغربي بتحولات عميقة تمثلت في تحرره من المرجعيات الدينية المتمثلة في الوحي وبناء مفاهيمه عن الإنسان والحياة على أسس عقلية محضة وقد أثر هذا التأسيس الفكري في تشكيل منظومته الأخلاقية، فالاهتمام الزائد بجزئيات العبادة والتفاصيل السلوكية الفردية وآداب الشخصية مع تجاهل قضايا المجتمع المسلم كالجهاد ومواجهة الظلم والدعوة إلى الإصلاح الاجتماعي والفقهي يمثل انحرافا في الفهم الديني. وفي المقابل حين نهضت أوروبا كانت قد استفادت من المسلمين خاصة عبر الأندلس وصقلية في ميادين العلم والرياضيات وبعض جوانب الفلسفة فكان ذلك ركيزة لنهضتها[1]، غير أن الأوروبيين لم يأخذوا من المسلمين الأسس العقدية والقيم الأخلاقية بل ظلوا متمسكين بنسخة محرفة من المسيحية مع ما ورثوه من الفلسفة اليونانية، وقد أدى هذا الخيط غير المتناغم إلى تقدم مادي واضح لكنه جاء على حساب الجانب الروحي والأخلاقي، فالإنسان الأوروبي وإن أحاط علما بأدوات الحضارة إلا أنه لم يرتقي في أخلاقه ولم تكن لحضارته أهداف إنسانية أو قيميه واضحة بل كان من غاياتها البارزة إقصاء فكرة الإله والإيمان به إلى جانب إلغاء تام لتعاليم الأنبياء والرسالات السماوية [2].

1-محمد المبارك، نظام الإسلام العقائدي في العصر الحديث، ط1، (د.ن)، الدر العالمية للكتاب الإسلامي، 1412هـ/1990م، ص 10-11

2-محمد المبارك، نظام الإسلام العقائدي في العصر الحديث، ص 11.

المبحث الرابع: آثار الرؤية الكونية عند محمد المبارك في الجانب التاريخي والاجتماع الإسلامي

المطلب الأول: التاريخ في الرؤية الكونية التوحيدية عنده

الفرع الأول: تحقيق وحدة الأمة في ضوء السنن الإلهية

الفرع الثاني: العدالة الإلهية ودورها في استقامة الحياة

الفرع الثالث: الوفاء بالمواثيق بين الالتزام والانهيار الحضاري

المطلب الثاني: الاجتماع الإسلامي في الرؤية الكونية التوحيدية

الفرع الأول: العلاقة بين القومية والفكر الاجتماعي الإسلامي

الفرع الثاني: التشريع والإسلامي والقضايا الاجتماعية

الفرع الثالث: مظاهر الغزو الفكري في المجتمعات الإسلامية وسبل مواجهته

المطلب الأول: التاريخ في الرؤية الكونية التوحيدية لمحمد المبارك:

يعتبر التاريخ من الميادين الأساسية التي يظهر فيها أثر العقيدة في فهم حركة المجتمعات والأمم وقد سعى الدكتور محمد المبارك إلى تقديم قراءة للتاريخ الإسلامي في ضوء هذه الرؤية التوحيدية التي تبرز أن ما يصيب الأمة من نهوض أو انحطاط ليس وليد الصدفة بل نتيجة مباشرة لموقعها من السنن الإلهية ومن خلال تركيزه على معان مثل وحدة الأمة والعدل الرباني والوفاء بالمواثيق قدم الأستاذ المبارك رؤية متكاملة للتاريخ تظهر العلاقة بين العقيدة والواقع.

الفرع الأول: تحقيق وحدة الأمة في ضوء السنن الإلهية:

يبين محمد المبارك أن الأمة الإسلامية قد أنشئت على أساس متين من كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم حيث تولى الرسول الكريم تربيتها تربية مباشرة وغرس فيها معاني القدوة والأسوة الحسنة مما مكنها من تجسيد القيم الإسلامية وتطبيق المبادئ الربانية في واقعها العملي عبر فترة زمنية طويلة ورغم ما أصابها من انحراف تدريجي لاحقا فقد تمكنت هذه الأمة من إقامة كيان تاريخي فريد وتجدر الإشارة في هذا الإطار إلى أن وحدة الأمة وفاعليتها الحضارية لم تكن صدفة بل جاءت في إطار السنن الإلهية التي تحكم قيام الأمم وسقوطها[1].

ويختلف مفهوم الأمة في الرؤية الكونية التوحيدية في الإسلام عن التصور الغربي اختلافا جوهريا؛ ففي حين يعرف الغرب بأن الأمة هي التي يشترك أفرادها في الأرض والجنس واللغة والمصالح، فإنّ الرؤية الكونية التوحيدية تقيم وحدة الأمة على أساس العقيدة المشتركة في عبادة الله تعالى: [2]ذلك أن العناصر الخارجية كالأرض والجنس واللغة ليست من اختيار الإنسان بل يولد فيها دون إرادة منه ولا فضل له في ذلك في حين أن المنهج الذي يختاره الإنسان بإرادته هو مايعكس حقيقته لقوله تبارك وتعالى: ﴿**إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ**﴾ [**الأنبياء:** 92].

1-محمد المبارك وآخرون، الثقافة الإسلامية، ص 33

2-المرجع نفسه، ص 34

وهذه الرؤية تنسجم مع السنن الإلهية التي تجعل الاختيار الواعي لمنهج الحياة هو أساس المسؤولية، وبذلك تؤسس وحدة الأمة على أسس ربانية ثابتة لا على اعتبارات مادية متغيرة[1]

وتعد وحدة الأمة من أعظم المقاصد التي جاءت بها العقيدة الإسلامية فالعقيدة الربانية الصحيحة هي القوة الوحيدة القادرة على تأليف القلوب وإزالة الفوارق بين الناس كما يقول محمد المبارك: "لا شيء أبدا يمكن أن يؤلف تأليفا حقيقيا بين القلوب إلا العقيدة الربانية الصحيحة وقد استطاعت العقيدة بالفعل أن تؤلف بين قلوب المسلمين منشتي الأجناس والألوان واللغات وتؤلف منهم أمة واحدة متماسكة متآخية متحابة وحتي حين انفصلت الحكومات وتصارعت وتحاربت لتقضي بعضها على بعض كان هذا شأن الحكام وحدهم ومن حولهم من الطامعين في السلطة أما جسم الأمة فقد بقي سليما لعدة قرون لا يتأثر بتلك الصراعات ولا ينقسم مع انقسام الحكام"[2].

الفرع الثاني: العدالة الإلهية ودورها في استقامة الحياة:

إن العدل الرباني كما قررته الشريعة الإسلامية ليس مجرد نظام اجتماعي أو اقتصادي بل هو سنة إلهية تحكم مصير الأمم في مجرى التاريخ فقط ربط القرآن الكريم بين قيام المجتمعات على العدل واستمرارها وبين الظلم وسقوطها قال الله تعالى: ﴿ وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ **[البقرة: 179]**، وفي حين حاولت الأنظمة الوضعية كالرأسمالية والشيوعية أن تقيم العدل بطريقتها أثبتت التجربة التاريخية أنها كانت سببا في تفاقم الظلم وزيادة الفوارق وتفكك المجتمعات فالرأسمالية قادت إلى احتكار الثروة واستبعاد الفقراء والشيوعية ألغت الحرية والكرامة الإنسانية تحت شعار المساواة فانتهت كلتاهما إلى فشل تاريخي أما الإسلام فقد وحد بين الإيمان بالله وإقامة العدل وجعل العدل ركيزة لنهضة الأمة واستقرارها

1-المرجع نفسه، ص35

2-المرجع نفسه، ص 39

وتجربة الحضارة الإسلامية عبر القرون شاهد على أن العدالة الربانية حين تطبق تصنع أمة شاهدة على الناس قوية في قيمتها متماسكة في بنيانها ومؤثرة في مجرى التاريخ البشري.[1]

الفرع الثالث: الوفاء بالمواثيق بين الالتزام والانهيار الحضاري

تميزت الأمة الإسلامية عبر تاريخها بالوفاء الصادق بالعهود والمواثيق وكان هذا الخلق من أبرز ما يميزها عن سائر الأمم فلم تكن ترتبط بالعهود لمجرد المصلحة والمكاسب بل التزاما بالمبدأ سواء أكان في ذلك ربح أو خسارة وفي ظل وفاء المسلمين بعهودهم مضرب المثل في التاريخ كله، ومثال ذلك نقض الصلبيين عهدهم مع صلاح الدين وأخذ الجيش الإسلامي حين فتراجع الجيش إلى المسجد الأقصى فدخل الصلبيين وراءهم وأعملوا فيهم القتل حتي خاضت الخيل إلى ركابها كما الصلبيين وانتصروا عليهم لم يشأ صلاح الدين أن يعاملهم بمثل معاملتهم وإن كان يملك الحق في ذلك بنص الآية لقوله تبارك وتعالى: ﴿فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَٱعۡتَدُواْ عَلَيۡهِ بِمِثۡلِ مَا ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾ **[البقرة: 194]**

ولكنه آثر أن يعاملهم بروح الإسلام العليا لقوله تعالى: ﴿إِن تُبۡدُواْ خَيۡرًا أَوۡ تُخۡفُوهُ أَوۡ تَعۡفُواْ عَن سُوٓءٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوّٗا قَدِيرًا﴾ **[النساء: 149]** [2]فالوفاء بالعهد في هذا السياق لا يعد مجرد قيمة أخلاقية منفصلة بل يمثل دعامة محورية يقوم عليها بناء المجتمع الإسلامي اذ يعكس مدى ارتباط الإنسان المسلم بعقيدته ويجسد في الوقت ذاته مسؤولية الاستخلاف التي حمله الله إياها على الأرض.

1-محمد المبارك وآخرون، الثقافة الإسلامية، ص 42-43

2-المرجع نفسه، ص 44

المطلب الثاني: الاجتماع الإسلامي في الرؤية الكونية التوحيدية لمحمد المبارك

الفرع الأول: العلاقة بين القومية والفكر الاجتماعي الإسلامي

لقد ضم العالم الإسلامي منذ القدم شعوبا متعددة كالعرب والفرس والهنود والأتراك والأحباش وغيرهم وقد حافظ الإسلام على الخصوصيات القومية لكل أمة فلم ينكر لغاتها ولا عاداتها ولا فنونها ومع ذلك فقد أنشأ رابطة أعمق تقوم على وحدة العقيدة فوحد نظرتهم إلى الله والوجود والحياة وجمعهم على تشريع واحد ينظم علاقاتهم وسلوك أخلاقي مشترك وعادات موحدة في بعض مظاهر الحياة كالتحريم بعض المآكل والمشارب وغيرها، [1]

ولا يوجد في الإسلام أي تعارض بين شعور الشعوب المسلمة بانتمائها القومي ووعيها بالانتماء إلى الإسلام إذ أن الإسلام لم يعمل منذ بدايته على إلغاء القوميات أو إنكار وجودها بل أقر بها باعتبارها واقعا إنسانيا كما قال الله تعالى:

﴿ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ ﴾ **[الحجرات: 13]** وانما الذي رفضه الاسلام هو العصبية القومية التي تؤدي إلى التفرقة والتعالي بين الناس وتلكم عظمة الإسلام في أنه لم يجعل القومية هدفا بذاتها بل جعلها أداة تخدم الهدف الأسمى وهو تحقيق رسالة إنسانية شاملة، وقد جمع الإسلام بين مختلف الشعوب على أساس العقيدة والمشاعر والآمال المشتركة مما أسهم في بناء حضارة إسلامية ذات طابع انساني وثقافة تتوجه نحو خدمة الإنسان وتفتح أبوابها أمام كل من يرغب في المشاركة والمساهمة فيها دون تمييز عرقي أو قومي[2].

1-محمد المبارك، الفكر الإسلامي الحديث في مواجهة الأفكار الغربية، ص 124.125

2- المرجع نفسه، ص124.

الفرع الثاني: التشريع والإسلامي والقضايا الاجتماعية

تعد الشريعة الإسلامية الركيزة الأساسية التي يقوم عليها الاجتماع الإسلامي في فكر محمد المبارك حيث يرى أن وحدة التشريع تؤدي إلى وحدة البنية الاجتماعية والثقافية للأمة الإسلامية،

إن التشريع الإسلامي الذي ساد في البلاد الإسلامية مستمد من أصوله من القرآن الكريم والسنة النبوية وهو ما أضفى طابعا موحدا على المجتمعات الإسلامية فقد نظم هذا التشريع مختلف جوانب الحياة بدءا من شؤون الأسرة والعلاقات بين أفرادها وانتهاء بتنظيم المعاملات المالية والتجارية ولم يطرأ على هذا النظام خلل إلا بعد أن تسربت التشريعات الأجنبية إلى بعض البلدان الإسلامية حيث استبدلت أحكام الشريعة بالقوانين الوضعية كالقانون الشيوعي بينما استمر بعض المسلمين خاصة في البلدان الخاضعة للأنظمة الشيوعية في تطبيق الشريعة فيما بينهم بالاتفاق ويؤكد أن العوامل الفكرية والثقافية والتاريخية والسياسية والاجتماعية ساهمت في نشوء أمرين أساسيين: أولهما أن الشعوب الإسلامية رغم تباعدها الجغرافي تكون بمجموعها عالما إسلاميا واحدا بالمجتمع أو الجماعة أو الهيئة الإسلامية الجامعة وثانيهما أن هذا العالم الإسلامي يتميز عن سائر المجتمعات الأخرى سواء الغربية الديمقراطية أو الاشتراكية الماركسية أو الوثنية في آسيا وإفريقيا[1] ويتبين من خلال طرح محمد المبارك أن التشريع الإسلامي ليس مجرد نظام قانوني بل هو عامل أساسي في تشكيل المجتمع الإسلامي وتوحيده مما ينعكس بوضوح على رؤيته الكونية التي تقوم علي التوحيد والاختلاف الجذري عن المجتمعات الأخرى.

1- محمد المبارك، الأمة والعوامل المكونة لها، (د، ط)، دمشق، دار الفكر، ص 29-32.

الفرع الثالث: مظاهر الغزو الفكري في المجتمعات الإسلامية وسبل مواجهته

لقد واجه المجتمع الإسلامي في العصر الحديث موجة من التحديات الفكرية والثقافية التي تسللت إلى كيانه من خلال مظاهر الانفتاح على الغرب ولم يكن هذا الغزو عسكريا تقليديا بل غزوا ثقافيا خفيا تسلل عبر الفكر والعادات والتقاليد مستهدفا هوية الأمة وأصالتها، وقد بدأ هذا التأثير بالظهور من خلال الإعجاب بالمظاهر الغربية فتوجه المجتمع إلى نقل الأشكال وتقليد الماديات دون وعي أو تمييز بين ما هو أساسي وما هو ثانوي، [1] لذلك ينبغي أن نعى تماما أن ما تعيشه البشرية اليوم وخاصة في أوروبا وأمريكا يمثل صورة جديدة من الوثنية المعاصرة تتجسد في المذاهب والفلسفات والنظم التي تروج باسم التقدم العلمي والسياسي والاقتصادي فهذه المذاهب تستمد جذورها من الفكر المادي وقد انفصلت كليا عن تعاليم الدين الإسلامي والرسالات السماوية ومن ثم فإن الواجب الملح هو توجيه الجهود نحو التصدي لهذا الخطر المحدق الذي يهدد الإنسانية جمعا، وذلك عبر إحياء القيم الروحية وتعزيز المبادئ الأخلاقية وترسيخ الإيمان بالله مع الحذر من الانشغال بالقضايا الثانوية التي لا ترقى إلى مستوى هذه الأسس العقدية العظيمة[2].

ونستخلص في نهاية هذا المبحث أن فهم التاريخ لا يتجلى بصورته الواضحة إلا من خلال الإيمان بالله وجعل العقيدة التوحيدية منطلقا لكل نهضة حضارية فهي التي تكشف سنن النهوض والانحدار في حياة الأمم. أما في المجال الاجتماعي فقد أقام محمد المبارك من خلال وحدة العقيدة أساسا متينا لوحدة المجتمع حيث وحّد رؤيتهم للكون والحياة وجمعهم على شريعة واحدة تنظم علاقاتهم وتوجه سلوكهم بمنظومة أخلاقية موحده، وبذلك يتضح أن الرؤية التوحيدية التي قدمها الأستاذ محمد المبارك تشكل مشروعا متوازنا لإصلاح واقع الأمة.

1-محمد المبارك، الفكر الإسلامي الحديث في مواجهة الأفكار الغربية، ص 100

2- المرجع نفسه، ص 122-123

خاتمة

خاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، الحمد لله الذي ما تم جهد ولا ختم سعي إلا بفضله ولطفه وكرمه، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة وأزكي التسليم وعلى آله وصحبه أجمعين.

بناء على ما تم تناوله في ثنايا هذا البحث حول إشكالية ملامح الرؤية الكونية التوحيدية لشيخ محمد المبارك ورغم أن الإحاطة بكل أبعاد الموضوع أمر يتجاوز هذه الدراسة المتواضعة فقد توصلت إلى جملة من النتائج بالإضافة إلى بعض التوصيات كما يأتي:

أولا: النتائج

1.إن الرؤية الكونية التوحيدية في منظور الشيخ محمد المبارك هي رؤية تتأسس على التوحيد انطلاقا من العقيدة الإسلامية، وهي رؤية توحّد بين الوحي والعقل والقلب والسلوك في فهم الوجود الإلهي وقراءة العالم والإنسان والمجتمع، وذلك بناء على ما جاء في القرآن الكريم والسنة النبوية مما يجعلها تصورا شاملا يربط بين الإيمان والتفكر في إطار التوحيد الإلهي.

2.يرى الشيخ محمد المبارك أن الرؤية الكونية التوحيدية تبرز مظاهر العناية الإلهية الدقيقة والشاملة في خلق الكون وتنظيمه ما يدعو الإنسان إفراد الله تعالى: بالعبادة والتخلص من كل الصور التبعية لغيره والتحرر من الشرك والخرافات تعظيما لجلاله واعترافا بكمال ربوبيته.

3.إنّ الرؤية الكونية التوحيدية، كما يذهب إلى ذلك الشيخ محمد المبارك، تبرز دور الإنسان في الكون ككائن مكرم مكلف له رسالة عظيمة تقوم على الايمان بالله وتحقيق مقاصده في الأرض.

4.حاول الشيخ محمد المبارك الربط بين التاريخ والاجتماع الإسلامي في إطار توحيدي متكامل من خلال رفض الفصل بين الدين والشؤون الحياة معتبرة أن نهوض الأمة مرتبط بعودتها إلى مقوماتها العقدية والفكرية.

5. الرؤية الكونية، التوحيدية كما يعرضها الشيخ محمد المبارك، تبرز أهمية القيم الأخلاقية وتعتبرها ثمرة الإيمان ووسيلة لإصلاح الفرد والمجتمع.

6.الرؤية الكونية التوحيدية للشيخ محمد المبارك ترفض التصور الغربي المادي للوجود لما فيه من إقصاء للبعد الروحي والأخلاقي وتطرح تصورا بديلا يقوم على التوحيد ويهدف إلى معالجة أزمات الإنسان المعاصر في أبعاده الفكرية والروحية.

ثانيا: التوصيات:

لقد كان التوجه إلى هذه الدراسة التي بين أيديكم نتيجة توصية مذكرة ماستر سابقة في تخصص العقيدة الإسلامية من إعداد الطالبتين: قاسمي خديجه ومنال حامدي والموسومة بـ"معالم التجديد الكلامي عند الشيخ محمد المبارك"، (قسم أصول الدين، كلية العلوم الإسلامية، جامعة الوادي، 2023-2024).وفي ضوء النتائج التي توصلت إليها، لا يسعني إلا أن أقدم بدوري توصية أراها ضرورية في إطار دراسة تراث الشيخ محمد المبارك، عسى أن تجد استجابة لدى الطلبة، وهي التي تتمثل في الآتي:

-دعوة طلبة الماستر في تخصص العقيدة الإسلامية إلى استكمال دراسة فكر الشيخ محمد المبارك حول التوحيد في مواجهة الفكر الغربي المادي.

هذا وإن وفقت في دراسة هذا الموضوع فمن الله وإن قصرت فيه فمن نفسي وكفاني شرف المحاولة والحمد لله رب العالمين.

ملاحق

الشيخ محمد المبارك في العشرينيات من عمره

صورة تجمع الشيخ محمد المبارك ببعض الشخصيات والمشايخ

من مراسلة واتسابية مع الأستاذ صالح بن الشيخ محمد المبارك

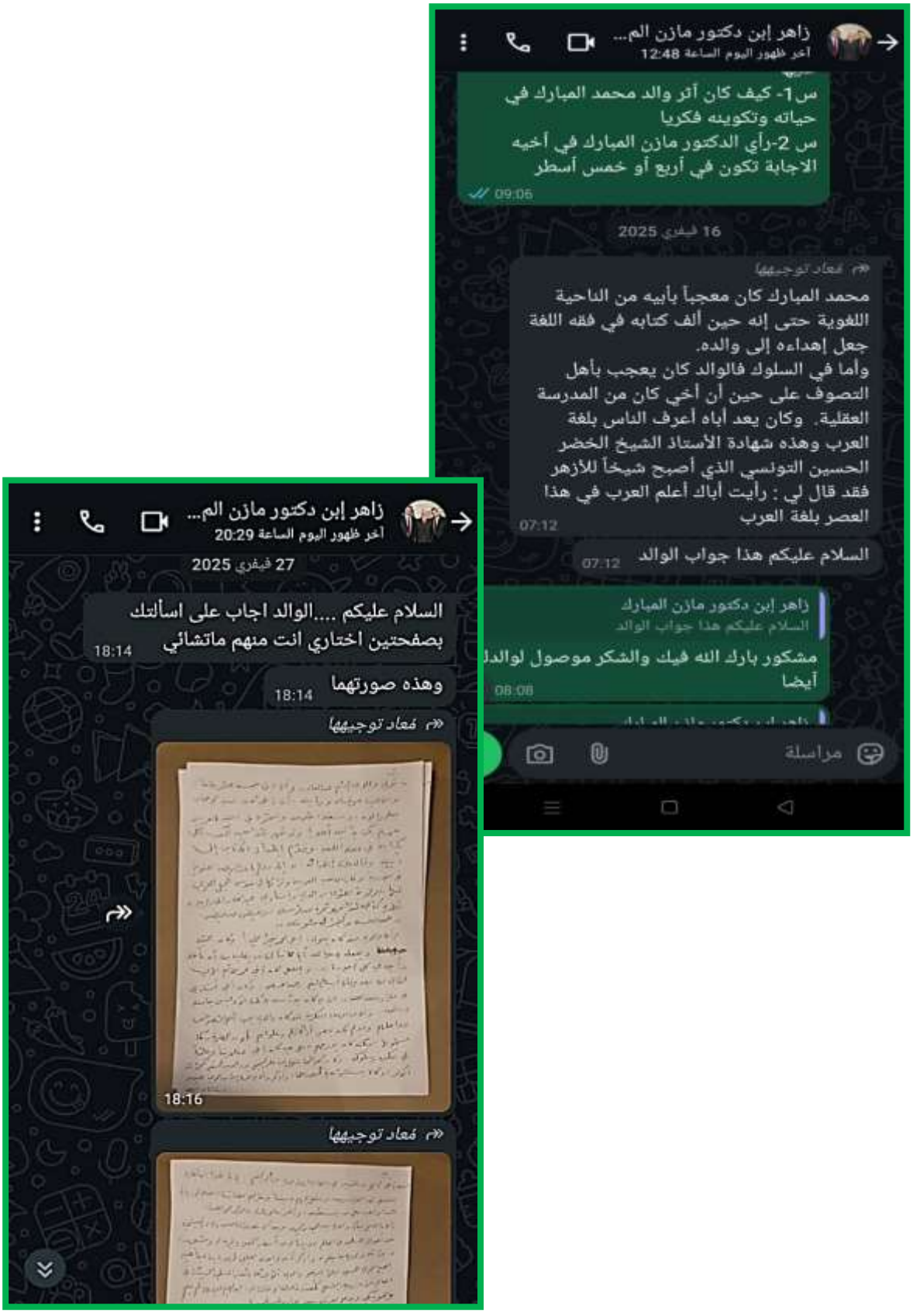

من مراسلة واتسابية مع الأستاذ زاهر بن الدكتور مازن المبارك

فهارس

فهرس الآيات القرآنية

طرف الآية	رقم الآية	السورة	الصفحة
﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي	30	البقرة	33
﴿فَٱذْكُرُونِيٓ أَذْكُرْكُمْ . . .﴾	152		34
﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ...﴾	164		23
﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبّٗا لِّلَّهِۗ﴾	165		34
﴿وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٞ . . .﴾	179		57
﴿فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُواْ عَلَيْهِ . . .﴾	194		58
﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُۚ﴾	255		22
﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَۖ﴾	255		
﴿وَسْـَٔلُواْ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓۚ﴾	32	النساء	32
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِيٓ أَنفُسِهِمْ . . .﴾	97		51
﴿إِن تُبْدُواْ خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ . . .﴾	149		58
﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَۖ . . .﴾	103	الأنعام	22
﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٞ وِزْرَ أُخْرَىٰۚ . . .﴾	164		41
﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُۗ . . .﴾	54	الأعراف	25
﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِۖ...﴾	179		31
﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ . . .﴾	61	هود	33
﴿وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٖ﴾	8	الرعد	37
﴿وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ . . .﴾	19	الحجر	
﴿وَٱلْأَنْعَٰمَ خَلَقَهَاۖ . . .﴾	6-5	النحل	31
﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ . . .﴾	17		23
﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾	49		25

﴿وَٱللَّهُ أَخۡرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ . . .﴾	78		31
﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا . . .﴾	1	الإسراء	34
﴿فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ . . .﴾	110	الكهف	04
﴿ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ مَهۡدٗا . . .﴾	53	طه	37
﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ...﴾	25	الأنبياء	04
﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ . . .﴾	92		57
﴿وَتَرَى ٱلۡأَرۡضَ هَامِدَةً . . .﴾	5	الحج	37
﴿خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٖ مِّن طِينٖ...﴾	14-12	المؤمنون	36
﴿وَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءَۢ بِقَدَرٖ . . .﴾	18		37
﴿وَلۡيَعۡفُواْ وَلۡيَصۡفَحُوٓاْ . . .﴾	22	النور	26
﴿وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٖ مِّن مَّآءٖۖ ...﴾	45		37
﴿وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ . . .﴾	60	النمل	24
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَأُ مَا عَلِمۡتُ لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرِي﴾	38	القصص	26
﴿إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوۡمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيۡهِمۡۖ﴾	76		
﴿وَلَا تَدۡعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ . . .﴾	88		27
﴿ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنۡ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ . . .﴾	20	الروم	30
﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦ خَلۡقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ . . .﴾	22		23
﴿وَلَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَهُۥ قَٰنِتُونَ وَٱلۡأَرۡضِۖ﴾	26		22
﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن ضَعۡفٖ . . .﴾	54		24
﴿أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّا نَسُوقُ ٱلۡمَآءَ . . .﴾	27	السجدة	28
﴿ إِنَّا عَرَضۡنَا ٱلۡأَمَانَةَ . . .﴾	72	الأحزاب	41
﴿ وَٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ ٱلرِّيَٰحَ . . .﴾	9	فاطر	50
﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ . . .﴾	27		36
﴿ إِنۡ هُوَ إِلَّا عَبۡدٌ أَنۡعَمۡنَا عَلَيۡهِ . . .﴾	59	الزخرف	34

﴿سَنُرِيهِمۡ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلۡأٓفَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمۡ . . .﴾	54-53	فصلت	05
﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ . . .﴾	13	الجاثية	32
﴿وَلِتُجۡزَىٰ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا كَسَبَتۡ. . .﴾	22		35
﴿وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ﴾	13	الحجرات	59
﴿أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡإِيمَٰنَ . . .﴾	22	المجادلة	24
﴿لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ. . .﴾	6	التحريم	32
﴿ يَوۡمَئِذٖ تُعۡرَضُونَ لَا تَخۡفَىٰ مِنكُمۡ خَافِيَةٞ ﴾	18	الحاقة	53
﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ نَبَاتٗا﴾	17	نوح	30
﴿إِنَّا هَدَيۡنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرٗا وَإِمَّا كَفُورًا ﴾	3	الإنسان	33
﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ . . .﴾	29	التكوير	35
﴿ٱلَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ﴾	7	الانفطار	31
﴿ٱلَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ. . .﴾	3-2	الأعلى	40
﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلۡإِبِلِ. . .﴾	20-17	الغاشية	28

فهرس المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

- **الكتب:**

– كتب المؤلف (محمد المبارك):

1– محمد المبارك وآخرون، الثقافة الإسلامية، تحقيق، محمد إبراهيم علي وحسين حامد حسان، ط19، مركز النشر العلمي، 1423هـ/2003م.

2– محمد المبارك، الإسلام والفكر العلمي، ط1، بيروت، دار الفكر، سنة 1338هـ-1339م.

3– محمد المبارك، الأمة والعوامل المكونة لها، (د، ط)، دمشق، دار الفكر.

4– محمد المبارك، العقيدة فالقران الكريم، (د ط) بيروت، دار الفكر، (د ت).

5– محمد المبارك، الفكر الإسلامي الحديث في مواجهة الأفكار الغربية، د ط، بيروت، دار الفكر، هـ1387-1968م.

6– محمد المبارك، نحو إنسانية سعيدة، ط1، بيروت لبنان، دار الفكر، سنة 1426/1420هـ، 2005م.

7– محمد المبارك، نظام الإسلام العقائدي في العصر الحديث، ط1، (د، ن)، الدر العالمية للكتاب الإسلامي، 1412هـ/1990م.

8– محمد المبارك، نظام الإسلام العقيدة والعبادة، ط1، بيروت، دار الفكر، 1388هـ/1968م.

– كتب أخرى:

9– ابن منظور، لسان العرب تحقيق عبد الله علي الكبير وآخرون، (د، ط)، القاهرة، دار المعارف، (د، ت).

10– أبو حامد الغزالي، تهافت الفلاسفة، تحقيق الدكتور سليمان دنيا، ط8، القاهرة، دار المعارف، سنة 1119م.

11– أحمد داود أوغلو، النموذج البديل أثر تباين المعرفية الإسلامية والغربية في النظرية السياسية، ط1، بيروت، دار البيضاء، سنة 2019م.

12– جمال المرزوقي، دراسات في علم الكلام والفلسفة الإسلامية، ط1، القاهرة، (د، ن)، سنة 1421هـ/2001م.

13– جميل صليبا، المعجم الفلسفي، (د، ط)، بيروت، د ار الكتاب اللبناني، 1982م.

14– سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي، ط1، لبنان، دار الغرب الإسلامي، 1899م.

15– علي العبود، الرؤية الكونية الإلهية دراسة في الدوافع والمناهج الفلسفية كلامية عرفانية، ط2، نور للدراسات، 1433هـ-2012م.

16– علي بن محمد السيد شريف الجرجاني، معجم التعريفات، تحقيق: محمد الصديق المنشاوي، (د ط)، دار الفضيلة للنشر والتوزيع، (د، ت).

17– عمر رضا كحال، معجم المؤلفين، ط1، سوريا، مطبعة الترقي، 1380هـ-1960م.

18– الفيروز أبادي، القاموس المحيط، ط8، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1426هـ-2005م.

19– محمد المجذوب، علماء ومفكرون عرفتهم، ط4، دار الشواف للنشر والتوزيع، سنة 1992م.

20– محمد سعيد رمضان البوطي، كبرى اليقينيات الكونية، ط8، دمشق، دار الفكر، 1417هـ/1997م.

21– مرتضى المطهري، الرؤية الكونية التوحيدية، ط2، منظمة الإعلام الإسلامي، معاونية العلاقات الدولية في منظمة الاعلام الإسلامي الجمهورية الإسلامية طهران، إيران، 1409هـ-1989م.

22– مصطفي الخن، مبادئ العقيدة الإسلامية، ط9، دمشق، (د، ن)، سنة 1416-1417هـ/1996-1997م.

- **المقالات:**

23– بن داشة عز الدين، خالد محجوب: "الرؤية الكونية التوحيدية لمحمد المبارك "، مجلة المعيار، العدد1، سنة 20/12/2024.

24– عمران بود قزام: "الرؤية التوحيدية الحضارية، أرضيتها الفكرية وعناصرها المنهجية"، مجلة البحوث العلمية والدراسات الإسلامية، العدد7، 1435هـ-2014م.

25– فتيحة دوار: "مؤلفات المفكر الجزائري محمد المبارك، دراسة تحليلية نقدية"، كلية العلوم الإسلامية جامعة الجزائر 1بن يوسف بن خدة، مجلة رسالة المجسد، سنة النشر 2021-11-29.

- **الرسائل العلمية:**

26– ابن الشيخ حليمة، بن عثمان سليمة، مشكلة السببية عند أبي حامد الغزالي، مذكرة ماستر في الفلسفة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم علم النفس والفلسفة، جامعة زيان عاشور، الجزائر الجلفة، سنة 2020/2019.

27– غزيل بنت شاهر عوده الدعدي، الشيخ محمد المبارك وجهوده الفكرية والثقافية، مذكرة ماجيستر في الثقافة الإسلامية، كلية الدعوة واصول الدين، قسم الدعوة والثقافة الإسلامية، جامعة ام القرى، المملكة العربية السعودية، سنة 1430هـ/1431هـ.

28– فتيحة دوار، الدرس العقدي عند محمد المبارك، (مذكرة ماجستير في العقيدة)، كلية العلوم الإسلامية، قسم العقائد والأديان، الجزائر، 1431هـ/2005م.

29– الهاشمي قروف، محمد المبارك الجزائري وجهوده في الفكر الإسلامي، مذكرة ماجيستر في الدعوة الإسلامية، كلية العلوم الاجتماعية والعلوم السياسية، جامعة الحاج لخضر باتنة، 2008-2009م.

- **المقابلات والمراسلات الشخصية:**

30– مراسلات عن طريق الواتساب مع الأستاذ زاهر المبارك ابن الدكتور مازن المبارك.

31– مراسلات عن طريق الواتساب مع الأستاذ صالح المبارك ابن الشيخ محمد المبارك.

فهرس المحتويات

الإهداء	أ
شكر وتقدير	ب
الملخص	ج
مقدمة	هـ
المبحث التمهيدي: مدخل مفاهيمي	**1**
المطلب الأول: مفهوم الرؤية الكونية التوحيدية	**2**
الفرع الأول: مفهوم الرؤية	2
الفرع الثاني: مفهوم الكونية	3
الفرع الثالث: مفهوم التوحيدية	4
الفرع الرابع: المفهوم العام للرؤية الكونية التوحيدية	5
المطلب الثاني: الشيخ محمد المبارك ترجمة موجزة	**6**
الفرع الأول: مولد الشيخ المبارك ونشأته	6
الفرع الثاني: شيوخ الشيخ محمد المبارك وتلاميذه	9
الفرع الثالث: أثار الشيخ محمد المبارك العلمية ومؤلفانته	12
الفرع الرابع: وفاة الشيخ محمد المبارك وأقوال العلماء فيه	14
المبحث الأول:الله وتوحيده وآثاره في بناء الرؤية الكونية عند محمد المبارك	**18**
المطلب الأول: الله وتوحيده في القرآن الكريم	**19**
الفرع الأول: التوحيد والذات الإلهية في فكر محمد المبارك	19
الفرع الثاني: طريقة القران في عرض الحقيقة الإلهية والدعوة إلى الله	21
المطلب الثاني:أهمية التوحيد ودوره في تشكيل الرؤية الكونية عند محمد المبارك	**25**
الفرع الأول: التوحيد وأبعاده الأخلاقية والاجتماعية	25
الفرع الثاني: التوحيد وأثره في بناء التصور الكوني	26
الفرع الثالث: التوحيد والرؤية الفكرية عند محمد المبارك	26

المبحث الثاني: الإنسان والكون في رؤية محمد المبارك	**28**
المطلب الأول: الإنسان ومكانته و استخلافه في الكون عند محمد المبارك	**29**
الفرع الأول: مفهوم الاستخلاف عند محمد المبارك	29
الفرع الثاني: العلاقة بين الإنسان والتكليف الإلهي	31
المطلب الثاني: علاقة الإنسان بالله تعالى	**31**
الفرع الأول: مضمون الصلة بين الإنسان والله	32
الفرع الثاني: الإيمان بالله منطلق الحرية والمسؤولية	33
المطلب الثالث: الكون وقوانينه في رؤية محمد المبارك	**34**
الفرع الأول: صفات الكون من خلال القرآن الكريم	34
الفرع الثاني: مفهوم قانون السببية في الفكر الإسلامي	36
المطلب الرابع: عبودية الإنسان وعمارة الارض عند محمد المبارك	**39**
الفرع الأول: تحقيق العبودية عند محمد المبارك	39
الفرع الثاني: إعمار الأرض عند محمد المبارك	40
المبحث الثالث:خصائص الرؤية الكونية عند محمد المبارك القيم والاخلاق نموذجا	**42**
المطلب الأول: القيم الأخلاقية في الإسلام خطأ! الإشارة المرجعية غير معرّفة.	
الفرع الأول: الأساس العقائدي والتوحيدي للقيم الأخلاقية في الإسلام **خطأ! الإشارة المرجعية غير معرّفة.**	
الفرع الثاني: موقف محمد المبارك من إعلاء العقل وإغفال القيم الروحية **خطأ! الإشارة المرجعية غير معرّفة.**	
المطلب الثاني: نقد محمد المبارك للفكر المنحرف وتداعياته على القيم الأخلاقية	**50**
الفرع الأول: الفهم الإسلامي المنحرف وتداعياته الأخلاقية	50
الفرع الثاني: الأساس الفكري للتصورات الغربية وتأثيرها على الأخلاق	51
المبحث الرابع: آثار الرؤية الكونية عند محمد المبارك في الجانب التاريجي والإجتماع الإسلامي	**55**
المطلب الأول: التاريخ في الرؤية الكونية التوحيدية لمحمد المبارك	**56**
الفرع الأول: تحقيق وحدة الأمة في ضوء السنن الإلهية	56

الفرع الثاني: العدالة الإلهية ودورها في استقامة الحياة	57
الفرع الثالث: الوفاء بالمواثيق بين الالتزام والانهيار الحضاري	58
المطلب الثاني:الاجتماع الإسلامي في الرؤية الكونية التوحيدية لمحمد المبارك	**59**
الفرع الأول: العلاقة بين القومية والفكر الاجتماعي الإسلامي	59
الفرع الثاني: التشريع والإسلامي والقضايا الاجتماعية	60
الفرع الثالث: مظاهر الغزو الفكري في المجتمعات الإسلامية وسبل مواجهته	61
خاتمة	**62**
ملاحق	**65**
فهرس الآيات القرآنية	**70**
فهرس المصادر والمراجع	**73**
فهرس المحتويات	**76**